

الرقم التسلسلي :

رقم التسجيل: 13/MD12/011

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

التشكيل الفني في روايات عبد الرحمن منيف رواية "شرق المتوسط" أنموذجا

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر

الميدان: اللغة والأدب العربي فرع: أدب عربي تخصص: أدب عربي حديث

إشراف الدكتور :

- ناصر بركة

إعداد الطالبة:

- زهرة زهاني

تاريخ المناقشة:

2015/05/26

أمام لجنة المناقشة :

-د/سليمان بوراس (رئيسا)

-د/ناصر بركة(مشرفا)

-د/عمر جادي(ممتحنا)

السنة الجامعية: 2015/2014

شكر و عرفان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿رَبِّ أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي دُرِّيَّتِي إِنَّي تُبْتُ

إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ النمل (19)

وقوله تعالى

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ إبراهيم (07)

الحمد لله حمدا طيبا مباركا فهو الأحق بالحق والشكر على جزيل نعمه ووقوفا عند

قوله عليه الصلاة والسلام ((من لم يشكر الناس لم يشكر الله))

أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف " ناصر بركة "

الذي كان له الفضل الكبير في قيام هذا البحث.

ومن باب الاعتراف بالجميل أتقدم بالشكر الجزيل إلى أساتذة قسم

اللغة والأدب العربي الذين أسهموا في تكوين زادي العلمي والمعرفي طوال

مشواري الجامعي.

دون أن أنسى كل طلبة قسم اللغة والأدب العربي للسنة الثانية ماستر- دفعة 2014/2015-

- زهاني زهرة-

مقدمة

مقدمة

عرفت الكتابة السردية العربية ثراء في مستوى التشكيل الفني والموضوعاتي، عبر تحولات فارقة في تاريخ الحركة الأدبية الحديثة والمعاصرة، اتّسمت بسمة الحداثة في مجالات الفكر والأدب، وأدخلت النصوص السردية عوالم التجريب والبحث عن هوية الكتابة العربية، بالبحث في الأشكال التي توائم أزمة الإنسان العربي، تكتب رؤاه وأفكاره وقضاياها شكلا ومضمونا .

وتعدّ الرواية من الأشكال الأدبية التي تضع القارئ في عوالم خاصّة، والمتممّن في العمق الدلالي للجمال الفني السرد في الروايات يتراءى له أن هذا السبك الأدبي المحكم لا يكون عفويًا، فالرواية لا تكون متميزة فقط بمادتها، ولكن أيضًا بواسطة هذه الخاصية التي يُقدم بها الكاتب قصّته للمروري له، فيختار بذلك ما يناسب من وسائل لكي يقدم القصة المحكيّة في الرواية .

وبهذا فالرواية سلسلة من العناصر الدالة، التي تهدف إلى الكشف عن القيود الفكرية والاجتماعية والقيم التي يؤمن بها أفراد المجتمع، بل والإنسانية قاطبة، ومن هذا المنطق جاء عنوان المذكرة موسوما بـ:

((التشكيل الفني في روايات عبد الرحمن منيف رواية "شرق المتوسط" أنموذجًا)).

أما عن أسباب اختيار هذا الموضوع فقد كان استجابة لرغبة جامعة في البحث عن عناصر التشكيل الفني التي تميّز النصّ الروائي، وهي: المكان - الزمان - الشخصيات - اللغة - السرد - الوصف، وكذا الكشف عن طريقة تركيبها في عمل الروائي "عبد الرحمن منيف" رواية "شرق المتوسط"، وذلك بغية الخروج بنتيجة تتعلّق بطرق اشتغال هذه المكونات في النصّ الروائي الذي بين أيدينا، بالإضافة إلى ذلك، فإن اختياري للروائي عبد الرحمن منيف، كان على أساس محاولة تسليط الضوء على واحدة من أبرز كتابات هذا الروائي، والتي دلّت على قدرة ابداعية سواء تعلق الأمر بالشكل أم بالمضمون، وعلى

الرغم من أن موضوع الدراسة جلب اهتمام كثير من النقاد، إلا أنها جاءت متفرقة، وبهذا الصدد سأحاول التطرق إلى جلّ عناصر التشكيل الروائي في رواية "شرق المتوسط" بهدف الكشف عن فضاء التشكيل وأدواته الفاعلة من قدرات خلاقة في إنتاج جماليات، تمون فيها النص في كلّ مراحل بنيته وتشكله، كما يسعى البحث إلى محاولة الكشف عن مدى تعبير الرواية - عموماً - عن بيئاتها العربية المنتجة لها وتفاعلها مع أحداثها الاجتماعية، الواقعية والسياسية.

وبهذا فإنّ موضوع الدراسة سيسمح لي بالإجابة عن إشكالية يُلخص فحواها السؤال المتفرع الآتي:

- كيف تشكّلت رواية "شرق المتوسط" فنياً؟ وما سرّ نجاحها هل لسبب فني أم لسبب موضوعاتي؟ وإلى أيّ مدى استطاع عبد الرحمن منيف تصوير الواقع من خلال هذا العمل الروائي؟

للإجابة عن هذه التساؤلات اتّبعت خطة جاءت كالتالي: حيث قسم البحث إلى فصلين، بدءاً بمقدمة ومدخل كان عبارة عن تمهيد تناولت فيه تعريفاً بالروائي "عبد الرحمن منيف" وأعماله الفنية خاصة رواية "شرق المتوسط" محلّ الدراسة، بالإضافة إلى ملخص يحتوي أهمّ الأحداث الواردة في الرواية، الفصل الأول تطرّقنا فيه إلى الجانب النظري والذي شمل المفاهيم ذات الصلة بالموضوع، وقد ضمّ عنصرين الأول تحت عنوان ((مفهوم التشكيل الفني))، والثاني تحت عنوان "عناصر التشكيل الفني"، أمّا الفصل الثاني مثل الجانب التطبيقي والذي ضمّ ثلاثة مستويات: أولاً: المستوى الزمكاني في رواية "شرق المتوسط"، ثانياً: المستوى السردى واللغوي في رواية "شرق المتوسط"، ثالثاً: مستوى البنية الشخصية في رواية "شرق المتوسط"، متضمناً عنصر الوصف، وخاتمة هذه الأخيرة التي كانت عبارة عن حوصلة للنتائج التي توصل إليها البحث، ولإبراز تميز الرواية أكثر

من خلال أسلوب "عبد الرحمن منيف" وطريقة طرحه للموضوع، اعتمدت على المنهج الوصفي / التحليلي ، والذي سمح لي بقراءة عميقة في هيكل الرواية .

ولقد استندت في هذا البحث إلى جملة من المصادر والمراجع التي بسطت لي أرضية البحث، فكانت زاد هذا البحث، ومُرتكزه، أهمّها: بنية الشكل الروائي (لحسن بحراوي)، الزمن في الرواية العربية (لمها حسن القصراري)، بنية النصّ السردّي من منظور النقد الأدبيّ (لحميد لحميداني)، في نظريّة الرواية (لعبد المالك مرتاض)، الفضاء ولغة السرد في روايات عبد الرحمن منيف (لصالح إبراهيم)، جماليّات التشكيل الروائي (لمحمد صابر عبيد).

وقد صادفتني بعض الصعوبات تمثّلت في أنّ الدّراسات التي تناولت عمل الروائي عبد الرحمن منيف رواية "شرق المتوسط" اتّسمت بالقلّة خاصة الأكاديمية منها، وهي في كلّ ذلك تُهمل الجانب الفنّي في الرواية .

في الأخير لا يفوتني أن أتوجّه بالشّكر الجزيل إلى الذين دفعوني قدما للبحث في هذا الموضوع، ودلّلوا و أمّامي عقباته، أخصّ بالذكر أستاذي الفاضل الدكتور "ناصر بركة" الذي لم يتوان ولم يضجّر من تساؤلاتي المتكرّرة خلال مسيرة هذا البحث، كما أمّدني بكثير من النصائح التي تطلّ دُخرا ومرجعاً أساسياً لي في مشواري العلمي .

مدخل

التعريف بالروائي عبد الرحمن منيف وروايته "شرق المتوسط"

1. التعريف بالروائي "عبد الرحمن منيف"

2. التعريف برواية "شرق المتوسط"

3. ملخص الرواية.

1- التعريف بالروائي عبد الرحمن منيف:

"عبد الرحمن منيف" روائي عربي معاصر، جمع في شخصه أكثر من نسب، وعاش في أكثر من قطر، ولد عام (1933م)¹ في عمّان، وأنهى دراسته فيها، هو من أب سعودي وأم عراقية²، كان يرتحل طلبا للرزق من نجد إلى بلاد الشام، ويقوم في فترات تطول أو تقصر في دمشق وعمّان والبصرة وبغداد، توفي أبوه وهو في الخامسة من عمره فعاش في كنف رجل قاس متجبر .

درس "منيف" في الكتاب بعمّان ثم انتقل إلى بغداد فالقاهرة لإتمام دراسته الجامعية مابين سنتي (1952م - 1958م)، فدرس بالأردن إلى أن حصل على الشهادة الثانوية، ثم انتقل إلى بغداد والتحق بكلية الحقوق سنة (1952م) ثم انخرط في النشاط السياسي هناك إلى أن طرد من العراق مع عدد كبير من الطلاب بعد التوقيع على حلف بغداد عام (1955م)، انتقل بعدها إلى القاهرة لإكمال دراسته هناك في عام (1958م) انتقل إلى بلغراد³، فنال الدكتوراه في عام (1961م)، وكان اختصاصه الدقيق فيها الاقتصاد النفطي لذا نجده بعد حين يعمل معاونا لمدير النفط في سوريا، ثم مستشارا اقتصاديا في العراق ورئيسا لتحرير مجلة النفط في بغداد ومحررا في مجلة الهدف في بيروت⁴ ثم سافر إلى العراق سنة (1975م)، وتولى تحرير مجلة "النفط والتنمية" حتى عام (1981م).

¹ - عادل فريجات : مرايا الرواية دراسات تطبيقية في الفن الروائي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، مكتبة الأسد الوطنية، دمشق

- سوريا- ، 2006 ، ص74.

² - صالح إبراهيم: أزمة الحضارة العربية في أدب عبد الرحمن منيف، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت - لبنان- ، 2004، ص17.

³ - المرجع السابق، ن ص.

⁴ - <http://www.alarabiya.net/articles/2007/06/0635225.html>

مدخل التعريف بالروائي عبد الرحمن منيف وروايته "شرق المتوسط"

غادر العراق إلى فرنسا وتفرغ للعمل الأدبي، وفي عام (1986م) عاد إلى سوريا واستقرّ في دمشق حيث أقام حتّى اليوم الأخير من حياته¹. بعدما زار معظم البلدان العربيّة، وكثيرا من البلدان الأوربيّة، أمريكا، اليابان، كندا، توفيّ "منيف" عام 2004م² ودفن بمقبرة "الدّحاح" في العاصمة السّورية "دمشق" .

مؤلفاته الروائيّة:

تنوّعت أعمال "عبد الرّحمن منيف" الرّوائية والقصصيّة، والتي تناولت موضوعات كثيرة

ومتعدّدة منها على الخصوص:

- الأشجار واغتيال مرزوق (1973م)
- حين تركنا الجسر (1979م)
- قصة حب المجوسية (1974م)
- سباق المسافات الطويلة (1979م)
- شرق المتوسط (1975م)
- عالم بلا خرائط بالاشتراك مع جبرا إبراهيم جبرا (1982م)
- النهايات (1977م)
- مدن الملح خماسية روائية (1984م - 1989م)
- الآن هنا (أو شرق المتوسط مرة أخرى) (1991م)³

أعماله غير الروائيّة:

- لوعة الغياب (1989م)، الكاتب والمنفى و آفاق الرواية العربية (1991م) سيرة مدينة - عمان في الأربعينيات - (1994م)، الديمقراطية أولا... الديمقراطية دائما (1995م)، القلق وتمجيد الحياة (كتاب تكريم لجبرا (1995م)⁴. مروان قصاب باشي: رحلة الحياة والفن (1996م)، عروة الزمان الباهي (1997م)، بين الثقافة والسياسة (1998م)، جبرا علوان (موسيقى الألوان) (2000م)، ذاكرة المستقبل (2001م) 5 مرحلة الضوء مقالات (2001م)

¹ - مُجد رشدي عبد الجبار دريدي: النص الموازي في أعمال عبد الرحمن منيف الأدبية، دراسة نقدية تحليلية، رسالة ماجستير في اللغة العربية، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2010، ص 06.

² - عادل فريجات: مرايا الرواية دراسات تطبيقية في الفن الروائي، ص 75.

³ - المرجع السابق، ص 06.

⁴ - عبد الرحمن منيف <http://www.alarabiya.net/articles/2007/06/0635225.html>

⁵ - المرجع السابق، ص 06.

مدخل التعريف بالروائي عبد الرحمن منيف وروايته "شرق المتوسط"

العراق هوامش من التاريخ والمقاومة (2003م)، أسماء مستعارة قصص قصيرة (2006م) الباب مفتوح (قصص قصيرة أيضا) (2006م) .

هذا وقد حصل "منيف" على جوائز منها جائزة الرواية العربية في المؤتمر الأول للرواية الذي نظمه المجلس الأعلى للثقافة في مصر، إضافة إلى عدد من الجوائز الأدبية الأخرى، وقد ترجمت معظم كتبه إلى خمس عشرة لغة، كالإنجليزية، الألمانية، النرويجية الإسبانية والتركية، الفرنسية، وغيرها¹.

2 - التعريف برواية " شرق المتوسط"

كتب "منيف" هذه الرواية عام (1972م)، قبل أن تصدر له أي رواية، لكنّها لم تنشر إلا عام (1975م) ، وهي من أبرز رواياته، حيث تصدرت المرتبة الأولى في عدد الطبعات من بين جميع رواياته، تتكوّن الرواية من ستّة أجزاء مُرقمة من 01 إلى 06، لا تحمل عناوين فرعية أو داخلية، عدد صفحاتها 176 صفحة. يتألّف عنوان الرواية من مُكوّن مكاني " شرق المتوسط"، مركّب من كلمتين: الأولى تحدّد إحدى الجهات الأربع (الشرق)، والثانية تدلّ على منطقة جغرافية بحرية من العالم (البحر المتوسط).

مقدمة الرواية والرؤية العامة:

قدّم "عبد الرحمن منيف" روايته بنص وثيقة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي يؤكّد حقّ كلّ إنسان أينما وجد في الحرية، وعدم التمييز العنصري والفكري بسبب العقيدة أو الرّأي، وتحريم التعذيب والاضطهاد وانتهاك الحياة الخاصّة للإنسان في بيته أو أسرته و مراسلاته².

بعد هذه المقدّمة الهادفة ينقلنا "عبد الرحمن منيف" إلى عالم تُمتن فيه حقوق الإنسان بأبشع الصّور، فيصوّر لنا أناسا بلا حقوق بلا ملامح بلا احترام، ويطرح الكاتب

¹ -مُجد رشدي عبد الجبار دريدي: النص الموازي في أعمال عبد الرحمن منيف الأدبية ، ص 07.

² -أحمد الزغي: مقالات في الأدب والنقد، ط1، مكتبة الكتابي، أريد - الأردن - ، 1993، ص23.

من خلال هذا الواقع المرير سخريته السوداء لهذا التناقض مابين حقوق الإنسان المعلنة على الصعيد النظري - الخيالي - وواقع هذه الحقوق الخفية على الصعيد العملي - الفعلي - ليصل إلى فكرته الرئيسية: وهي أنّ وثيقة حقوق الإنسان مجرد وثيقة حبر على ورق لا علاقة بينها وبين الواقع الحقيقي 1 .

إنّ الموضوع الرئيس الذي يُلقى بظلاله على الرواية في جميع فصولها هو موضوع الإنسان في مواجهة السلطة في محيط جغرافي عبّر عنه الكاتب باسم " شرق المتوسط "، إذ هو الهمّ الأساسي للرواية وليس أحد الهموم الرئيسيّة²، فكما يذكر الكاتب أنّها تحاول أن تكون صرخة في جو الصمت لعلّ شيئاً يحدث قبل أن يدمر إنسان هذه المنطقة تدميراً كاملاً.

3- ملخص الرواية:

الفصل الأول:

تبدأ الرواية بسفر "رجب إسماعيل" بطل الرواية على ظهر ((أشيلوس)) المركبة اليونانية، فيها روى لنا "رجب" هذا الفصل وما حدث له في السجن من صنوف التعذيب، يوماً بعد يوم، بأدق التفاصيل أين يبدأ باسترجاع أيام السجن ومعاناته، لكن الذي يعذّبه ويؤرّقه ويؤلمه من كلّ هذه الذكريات هو توقيعه للسجان على الصك الذي حدّد نهايته، وبداية استسلامه فحاول إلقاء اللوم على جسده الذي لم يعد قادراً على الاحتمال والصمود، بعد أن بقي خمس سنوات شامخاً لا يلين، يقول: ((سحب الآغا الورقة والابتسامة تملأ وجهه ...

¹ - أحمد الزغيبي: مقالات في الأدب و النقد ، ص23.

² -حبيب نجاح: " تعيين الشخصية ذاتها في رواية شرق المتوسط لعبد الرحمن منيف"، مجلة الفكر العربي المعاصر، عام 1983، ص126، (نقلا عن مقال) الدكتور بسام علي رابعة "هواجس واعترافات" دراسة تحليلية لرواية شرق المتوسط، مقالة مشتركة مع الدكتور مُجّد زغلول، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، العدد الأول، المجلد الخامس، 2008م، ص04.

- الله يصلحك، لو وقعت هذه الورقة لكنت قبل أربع سنوات خارج السجن، لكن على الإنسان أن يدفع ثمن ما تعلم (!)¹.

فكان لتقرير الطبيب الذي شخّص حالته المرضيّة بأنّها روماتيزم في الدّم أهمّ الأسباب التي دفعته للتّوقيع، أمّا السّبب الآخر فهو وفاة أمّه، لأنّ حياة "رجب إسماعيل" لم تخل من دور العائلة في حياته، وممّا أنقص من إرادته أيضا زواج حبيبته "هدى" وموقف "أنيسة" من الحياة ومن مرضه الذي أحزنها كثيرا يقول: ((أنيسة دمّرت حياتي، جعلت أيّامي الأخيرة في السّجن جحيما، كانت تنقل إليّ حقارات العالم الخارجى وانتهاءه!))² فكان لها دورا كبيرا في يأس واستسلام "رجب".

إنّ أحداث هذا الفصل جاءت على لسان "رجب" وهو مسافر على ظهر السفينة عبر ذاكرته ووعيه.

الفصل الثاني:

تبدأ "أنيسة" في هذا الفصل بسرد أحداث تارة عن حياة رجب قبل السّجن، وتارة أخرى عن حياته بعد السّجن، وكيف تعاملت معه، على الرّغم من أنّ كل شيء تغير حتّى "رجب" نفسه، وكيف حاول السّفر بعد خروجه من السّجن، ولكنها وزوجها أرادا إقناعه بعدم السّفر، تقول: ((رجب برحمة أمّي، أكاد أموت من صمتك ... قل يا رجب، هل رأيت شيئا أو سمعت شيئا أزعجك))³.

تتذكّر "أنيسة" أخاها قبل دخوله السّجن، وما حصل له بعد دخوله له، فتروي الأحداث و الألم يعترض قلبها لما حصل له، فرجب لا يحتمل رؤية أحد ونادرا ما يكلمها، فهو كثير الصّمت، والسّبب في هذا ترجعه -حسبها- إلى تأنيب ضميره بعد توقيعه على صكّ

¹ - عبد الرحمن منيف: شرق المتوسط، ط09، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت - لبنان -، 1993م، ص 14.

² - المصدر نفسه، ص 26.

³ - المصدر نفسه، ص 38.

خروجه، ولقد حاولت استنكار ماضي أخيها مقارنة إياه بحاضره الزّاهن والطريقة التي اعتقل بها وزج به في السّجن، وكيف كانت أمّها تتصرف، هنا تدخل "أنيسة" في حوار مع أخيها لتخبره بسبب وفاة أمّها وبأنّها تعتبر الشّرطة وراء موتها، تقول: ((قبضوا عليها وقبضوا على عشرات أخريات، وفي النظارة كانوا وحوشا، ضربوها، أهانوها، شتموها... أصابتها الحمى منذ تلك الليلة وكانت صحتها تزداد سوءا وتتهار كلّ يوم))¹.

تروي لنا بعدها إحساس "رجب" بعد سماعه التفاصيل، ثمّ تستذكر تدريجيا أحداثا ومواقف لم تتسها، تتعلق بأمّها التي كانت في كل مرة تبحث عن "رجب" في ظلّ الأحداث السياسيّة التي لا تطمئن بالخير، وذلك في شكل حوارات داخلية لم يشاركها فيها أحد. ومع حلول يوم جديد، ترجع حوارات "أنيسة" وأخيها، أين تجنّبت الحديث عن زواج "هدى" ورسالتها التي تركتها لـ "رجب" لتسرد لنا كيف أخبرت "رجب" عن شجرة الحور التي زرعتها أمّها بعد شهرين من سجنه².

لقد تألم، وحزن، بكى ثم قرّر قطعها، لأنّ شجرة الحور تمثّل العزّة والأنفة لكنّ بعد سقوطه وتوقيعه لصكّ خروجه لم تعد له عزّة ولا كبرياء .
ينتهي هذا الفصل بعدما قرّر "رجب" ترك أوراق تخصّه عندها بعد تفكير مطوّل، ليسافر مودّعا أخته و زوجها، بعدما زار قبر أمّه بساعات قبل رحيله.

الفصل الثالث:

في هذا الفصل يوجّه "رجب" كلاما للمركبة أو البّاحرة اليونانيّة "أشيلوس" وكأنّها شخص يحاوره، فيحدّثها بما يدور في ذهنه من أفكار، ويبوح لها بكثير من أسراره .
ثمّ يتذكّر مشاهد التعذيب التي تعرّض لها وأصدقائه فهو لم ينس أساليب التعذيب في السّجن ولو للحظة، وكأنّ المركبة نفسها تريده أن يتحدّث، يقول: ((كلّ شيء

¹ - عبد الرحمن منيف: شرق المتوسط ، ص 45.

² - (ينظر) المصدر نفسه، ص57.

في أشيلوس يذكر بتلك الأيام. نزلت إلى العنابر. الوقود والمؤن و رجال لا تظهر منهم سوى أشكال غامضة تتحرك في دهاليز نصف المضاءة¹، لقد بدا " لرجب" أن كل شيء في المركبة مرتبط بذكرى حزينة عاشها في السجن الذي دمر حياته، حتى الفتاة السويدية هي الأخرى ذكّرت به بمعاناته، لأنها كانت تحمل طيوراً أشبهها بطيور "توري" أو كما يقول أبناء لها. في نهاية الفصل يصف لنا كيف توقفت الحياة بالنسبة له، فما الذي سيعيش لأجله!، يقول: ((تصوّرت العالم الخارجي في لحظات معينة يتوقّف))².

الفصل الرابع:

في هذا الفصل تعود " أنيسة " لتسرد لنا أحداثاً مختلفة، في البدء قصت لنا معاناة "هدى " في حبّها لـ " رجب "، ثمّ زواجها هي من "حامد" الذي طلب يدها من " رجب"، أرادت من وراء كلّ هذا أن تقول أنّ أمر " رجب" يهتمّها لوحدها، فقد صرحت بذلك في قولها: ((أنا الوحيدة بعد أمّي التي تنتظر "رجب" ويمكن أن أموت من أجله))³. لكنّ هذا لم يمنع " أنيسة " من الاعتراف بحب "رجب" و"هدى" لبعضهما البعض في كل مرّة، ويبدو من خلال حديث " أنيسة " أنّها كانت تتلقّى رسائل من " رجب" يتحدّث فيها عن " هدى"، لقد أرادت " أنيسة " أن تآزر نفسها وتخفف من مشاعر الضعف والأفكار التي تعترّيتها بعد انقطاع رسائله لمُدّة، وفي لحظة من اللحظات يرجع الأمل " لأنيسة" بعدما تلقت رسالة منه لكنّ فرحتها لم تكتمل لأنّ "حامد" تمّ استدعاؤه من طرف أناس أرادوا أن يعرفوا أخبار " رجب" بعد خروجه من السجن، فكّل رسائله أصبحت مراقبة، والدليل ختم المراقبة الموجود على غلاف الرسائل، أرادت " أنيسة" أن تسمع أخبار "رجب" من خلال ما

¹ - عبد الرحمن منيف: اشرق المتوسط، ص 90.

² - المصدر نفسه، ص 104.

³ - المصدر نفسه، ص 111.

كتب لكن ماذا كتب ؟ أكتب شيئاً عن "حامد" أو عن "هدى" قد يعرضها لمشاكل، فتمنّت لو أنّ رسالة "رجب" لم تأت .

لقد مزجت "أنيسة" في سردها لمضمون الرسالة بين أحداث تتذكّرها هي، وبين أحداث يذكرها "رجب" لقد تحدّث عن مرضه، عن موت أمّه، عن زيارته لقبرها، وحتى عن ندمه في كتابة هذه الرسالة.

توالى الأحداث وتمّ استدعاء "حامد" مرّة أخرى إلى مركز الشرطة والسبب هذه المرّة أنّ "رجب" الذي كفله "حامد" قد شتم الحكومة وعاد لنشاطه مع الطلاب.

أرادت "أنيسة" عودة "رجب" بشدّة، ولكن كيف تطلب منه ذلك بالرغم من أنّ عودته سوف تحلّ مشاكل كثيرة؟، في نهاية الفصل تتخيّل "أنيسة" أنّها كتبت رسالة لرجب تحدّثه فيها بصراحة أن يعود ويترك فكرة السفر¹.

الفصل الخامس:

ابتعدت "أشيلوس" وابتعد معها "رجب" لكنّه لم ينس هدفه، وهو أن يقول كلمته الأخيرة قبل وفاته، لقد أراد فضح المجازر التي تحدث في السجون، يقول ((سأفضّحهم، سأقول للنّاس، كل النّاس أنّ البشر لهؤلاء الأبالسة، أرخص الأشياء، أتقّه الأشياء))².

عاش رجب أيّاماً صعبة في السّجن، وحتى بعد خروجه لم يشعر بالراحة، لأنّه أحسّ أنّه توفي في اليوم الذي خرج فيه، فقد اعتبر الورقة التي وقّعها شهادة الوفاة بالنّسبة له، وفاة "رجب إسماعيل" كإنسان .

حاول "رجب" الصّمود وترميم إرادته بعدما أحسّ أنّ أعلى ما يملك وهو جسده قد انهار لما تعرض له من ضربات، إهانات وماء بارد ... ما سبّب له عجزاً صحياً، ليقرّر الذهاب للمستشفى للعلاج بعد مدّة .

¹ - عبد الرحمن منيف: شرق المتوسط ، 111.

² - المصدر نفسه، ص 143.

يستمر "رجب" في سرد الأحداث، فيتحدث عن نتيجة الفحص وعن الطريقة التي سيخبر فيها أخته "أنيسة" بحالته الخطيرة، وعن قلقه من مستقبله في الكتابة لأنها هي الأخرى فيها من الانفعالات ما يؤثر عن صحته .

إن بقاء "رجب" في باريس كل تلك المدة جعله يتعرف على أشخاص على الرغم من أنه لم يتصور يوماً أنه سيصاحب أحداً، من بينهم "عبد الغفور" الذي كان سبيلاً له في حمل رسالة "حامد" وأخرى "لأنيسة"، يُضيف "رجب" أنه تلقى رسالتين من "أنيسة" و"حامد" الأولى حملت معاني خطيرة والثانية كانت أكثر ثقة، فأحس بشيء خطير يحدث لكنه لم يتسرع في حكمه لأنه كان ينتظر عودة "عبد الغفور" ليخبره بما يحدث .

جاءت الأيام بالجديد، أين تلقى "رجب" رسالة من صديق "حامد" اسمه "حسني عبد الجليل" يخبره بمدى خطورة الأوضاع وما يتعرض له "حامد" من مضايقات .

في نهاية هذا الفصل تتسارع الأحداث بعودة "عبد الغفور" ومعه الأوراق، أما الجديد فإن "حامد" صهره موقوف ولن يخل سبيله إلا برجوعه هو، ما جعل "رجب" في حيرة من أمره، هل يعود أم لا؟! لأنه لا يريد العودة إلا بإرادته.

الفصل السادس:

عاد صوت "أنيسة" من جديد، وفي بداية هذا الجزء يتضح أنها ستنتشر ما كتبه "رجب" - بالرغم من أنه أوصاها بحرق أوراقه - وذلك تكريماً لذكراه، بعدما أحسّت أنها المذنب في عودته للوطن، وسجنه مرة أخرى .

نعم لقد عاد "رجب" لكن عاد ليسجن من جديد، والسبب الذي دفعه للعودة حسب ما تقوله "أنيسة" هو بكاؤها أمام "عبد الغفور" وهذا ما اعتبرته خطيئتها الكبرى التي لن تسامح نفسها عليها، أما المفاجأة الكبرى هي أن "رجب" أصبح أعمى، شديد الهزال والشحوب، وهي الفكرة التي لم تستطع "أنيسة" تقبلها وكأنّ السجن أراد وضع بصماته الأخيرة على حال "رجب إسماعيل" التي آل إليها، فبكت وتحسرت.

مدخل التعريف بالروائي عبد الرحمن منيف وروايته "شرق المتوسط"

ثمّ تستذكر " أنيسة" أنّه أوصاها بحرق الأوراق التي كتبها، ووعدته بذلك، ليلفظ أنفاسه الأخيرة بعد لحظات من حوارهما.

بعد وفاة "رجب" بأسبوعين سُجن "حامد" بتهمة أنّه المسؤول عن نشر كلام في صحيفة أجنبيّة، يقول فيها أنّ السّلاطات هي المسؤولة عن قتل وتعذيب "رجب" حتّى الموت، لتقرّر "أنيسة" في الأخير نشر أوراق رجب بعد قراءتها، هكذا كانت نهاية "رجب إسماعيل" وما آل إليه حال كلّ من "حامد" وعائلته.

الفصل الأول

مفهوم التشكيل الفني في " شرق المتوسط "

أولا : مفهوم التشكيل الفني

1. مفهوم الرواية

أ/ لغة

ب/ اصطلاحا

2. مفهوم مصطلح التشكيل

أ/ لغة

ب/ اصطلاحا

ثانيا : عناصر التشكيل الفني

1- مفهوم عناصر التشكيل الفني

1-1- الزمان

1-2- المكان

1-3- اللغة

1-4- الشخصية

1-5- السرد

1-6- الوصف

1- مفهوم الرواية:

أ* لغة: ورد في " لسان العرب" عن ابن سيده، في معتل الياء روى من الماء، بالكسر، من اللبن يروى أيضا وروى أيضا مثل رضا وتروي وارتوى كله بمعنى...ويقال للناقة الغزيرة: هي تروي الصبي لأنه ينام أول الليل... ويسمى البعير رواية على تسمية الشيء باسم غيره لقربه منه... والرواية هو البعير أو البغل أو الحمار الذي يستقى عليه الماء، والرجل المستقي أيضا رواية...قال الجوهري: رويت الحديث و الشعر رواية راو، في الماء والشعر، من قوم رواة...وتقول: "أنشد القصيدة يا هذا ولا تقل أروها إلا أن تأمره بروايتها أي باستظهارها"¹.

جاءت لفظة الرواية في مدلولها دالة على الاستسقاء من الماء، و" قصّ الأخبار" و" نقلها" و" حفظها". وفي ذات السياق يضيف الدكتور "عبد المالك مرتاض" أنّ الماء هدفهم المنشود من أجله يحلّون ويرتحلون وكانت رواية الشعر الضّرورة اللازمة لكلّ شاعر، كما كانت الرواية الوسيلة الأولى لحفظ الأشعار والأخبار².

ب* اصطلاحاً:

الرواية كباقي الأشكال الأدبية حظيت هي الأخرى بشعبية كبيرة، وحضور واسع لدى جمهور عريض من القراء، مما استدعى صعوبة في تحديد مفهوم دقيق لهذا المصطلح عند كثير من الدارسين وذلك لتعدد في اتجاهاتها، وكذا تطوّر في أساليبها وهذا راجع لتطوّرها واختلاف في العصور.

لقد وردت في معجم المصطلحات الأدبية "الفتحي إبراهيم" أنّ الرواية: ((سرد قصصي نثري يصوّر شخصيات فردية من خلال سلسلة الأحداث والأفعال و المشاهد

¹ - ابن منظور: لسان العرب، طبعة دار صادر، مكتبة الحرم الشريف، بيروت- لبنان - ،المجلد الرابع عشر، مادة (روى).

² - عبد المالك مرتاض: " الرواية جنسا أدبيا" ، مجلة الأعلام، وزارة الثقافة و الإعلام، ع12/11، بغداد - العراق - ،

1986 م، ص 124.

الفصل الأول مفهوم التشكيل الفني في رواية " شرق المتوسط "

والرواية شكل أدبي جديد لم تعرفه العصور الكلاسيكية و الوسطى، نشأ من البواكير الأولى لظهور الطبقة البرجوازية¹.

والرواية في مفهومها البسيط تعني: ((جنس أدبي يشترك مع الأسطورة والحكاية في سرد أحداث معيّنة تمثل الواقع وتعكس مواقف إنسانية ، وتصور ما بالعالم من لغة شاعرية وتتخذ من اللغة التثرية تعبيراً لتصوير الشخصيات، الزمان، المكان، الحدث))². كما عرفت الأكاديمية الفرنسية بأنها: ((قصة مصنوعة مكتوبة بالثر يُثير صاحبها... العواطف ووصف الطباع وغرابة الواقع))³.

أمّا الدكتور "عبد المالك مرتاض" فيعرفها بأنها: ((جنس أدبي راق، ذات بنية شديدة التعقيد، متراكبة التشكيل تتلاحم فيما بينها وتتضافر لتشكّل لدى نهاية المطاف شكلاً أدبياً جميلاً يعتري إلى هذا الجنس الحظي، والأدب السري، فاللغة هي مادته الأولى، كمادة كلّ جنس أدبي آخر في حقيقة الأمر. و الخيال هو الماء الكريم الذي يسقي هذه اللغة فتتمو وتربو،... والتقنيات لا تعدو كونها أدوات لعجن هذه اللغة المشبعة بالخيال ثم تشكيلها على نحو معين...))⁴.

وهكذا تبقى الرواية ذلك العالم السحري الجميل بلغتها، وشخصياتها، وأزمانها وأحيازها، وأحداثها، وما يعتور كلّ ذلك من خصيب الخيال، وبديع الجمال... فكيف نبني عناصرها إذا بنيناها ؟ وكيف نقرأها إذا قرأناها ؟⁵.

¹- فتحي إبراهيم: معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة للناشرين المتحدّين، ع1، تونس 1988، ص176.

²- سمير سعيد حجازي: النقد العربي وأوهام الحداثة، ط1، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، 2005، ص297.

³- مصطفى الصادق الجويني: في الأدب العالمي القصة، الرواية، السيرة، ط3، نشأة المعارف بالإسكندرية، - مصر، 2002، ص13.

⁴- عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية، مجلة عالم المعرفة (العدد 240)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1998، ص 27.

⁵- المرجع نفسه، ص7.

2- مفهوم مصطلح التشكيل :

أ - التشكيل لغة: ورد في "لسان العرب"، مادة (شكل) : الشكل، بالفتح، الشبه والمثل، والجمع أشكال وشكول،...والشكل: المثل، تقول: هذا على شكل هذا أي على مثاله، وفلان شكل فلان أي مثله في حالاته. والشكل...بالفتح: المثل و المذهب... وشكل الشيء: صورته المحسوسة و المتوهمة، والجمع كالجمع، وتشكل الشيء: تصور، و شكله: صورته، وأشكل الأمر: التبس، أمور أشكال: ملتبسة. وشكل الكتاب يشكله شكلا وأشكله: أعجمه. أبو حاتم شكلت الكتاب أشكله فهو مشكول إذا قيدته بالإعراب، واعجمت الكتاب إذا نقطته¹.

لقد وردت لفظة تشكيل عموما بمعنى: "التصوّر" و"التّمثّل" و"إزالة الالتباس".

ب - التشكيل اصطلاحا :

إذا ما عدنا في بحثنا الاصطلاحي إلى الجذور المفهوميّة لمصطلح " التشكيل " في الثقافة الأدبيّة المكتوبة، سنجد أنّ المرجعيّة الأساس التي يمكننا من خلالها تحريّ حضورا نوعيا لهذا المصطلح تكمن في الثنائيّة التقليديّة " ثنائيّة الشكل والمضمون " التي هيمنت على فعالية رصد حركة إشكاليّة المعنى النصّي في المدوّنة النّقديّة القديمة. أمّا في المدوّنة النّقديّة الحديثة، حيث حصل التّقدم الثقافيّ و الرّؤيوي والمنهجي الكبير و الواسع والعميق فقد استبدلت بثنائيّة جديدة هي ثنائيّة التشكيل بمعناه المركّب والمعقّد والمتعدّد وتحوّل المضمون بمعناه الرّؤيا².

لقد حظّي مصطلح " التشكيل " في دائرة المنهجيات الحديثة المشتغلة إجرائيا في حاضنة النّصوص بأهميّة و احتفاء استثنائي نوعي، إذ تعاملت معه بوصفه الوجه الاصطلاحي الحقيقي المنتج لجمالية الخطاب الأدبيّ، وقد استخدم هذا المصطلح في مجال السرد وقد أخذت الرّواية كأنموذج سردي الحظّ الأوفر في الهيمنة على المصطلح، وجرّه إلى

¹-ابن منظور: لسان العرب، المجلد الحادي عشر، مادة (ش ك ل).

²- محمد صابر عبيد: مقال " التشكيل مصطلحا أدبيا "، أرشيف أدباء وشعراء ومطبوعات، ص1 (موقع الكتروني).

الفصل الأول مفهوم التشكيل الفني في رواية " شرق المتوسط "

ميدانها و فضاءها ومنطقة عملها، وهو ما يهّمنا توضيحه " إذ أنّ الرواية في حدود تشكيلها السردية الجمالي ملزمة - تشكيليا وتعبيريا و ثقافيا - بكل هذا من أجل الوصول إلى حالة اشراقية تحليلية تتوافر على طاقة تعبيرية صادقة للتّمثيل والتّصوير و التّدليل، ليُعرف التّشكيل على أنّه يتألّف من شبكة عناصر و مكّونات وأدوات تحشد في سياق تكويني مؤتلف لبناء فضاء المصطلح"¹.

وبهذا أصبح مصطلح التّشكيل أحد العناصر الأساسية في تكوين الخطاب الأدبي بمتنه النصي، ولا بُدّ من إدراكه وفهمه وتحليله إذا ما أردنا فحص الخطاب في مجاله النصي ومعاينته نقديا، فمصطلح التّشكيل يكشف لنا عن خاصية جمالية يكون الخطاب الأدبي بنصه المدوّن، قد حقّقها.

إلا أنّ نقاد الرواية على اختلاف وجهات نظرهم في تصوّر مستقبل الرواية يرون أنّ الرواية غير قابلة للتّقنين، فهي تتشكّل باستمرار، وهي نوع يبحث بشكل دائم ويحلّل ذاته² وهذا يعني أنّ الحديث عن شكل روائي ثابت غير ممكن.

أمّا عن سيرورة حركة التّشكّل، يقول باختين: "إن حركة تشكّل الرواية لم تكن قد انتهت ولم تنته بعد وتدخل الآن في مرحلة جديدة ومما يميّز عصرنا التّعقيد الكبير والتّعمق العظيم للعالم والنّمو الهائل لمتطلبات الإنسان ولإدراكه ونقده، هذه الميزات هي التي ستعطي النّوع الروائي تطوّره اللاحق"³.

وهو ما يدعو إليه إبراهيم السّعافين" حين يدعو إلى وضع الأمور في نصابها، وذلك بتوضيحه لأمر مهم وهو أن نرفض الادعاءات بإمكانية وجود شكل عربي " أصيل " نُحيل إليه باعتباره إطارا مرجعيا، ونستلهمه على أنّه صيغة نهائية منجزة متشكّلة، إذ إنّ الرواية العربية لا تبحث عن صيغة متشكّلة في الماضي لتعود إليها، وإنّما

¹ - محمد صابر عبيد: مقال "التشكيل مصطلحا أدبيا"، 02.

² - إبراهيم السعافين: تحولات السرد-دراسات في الرواية العربية-، ط1، دار النشر و التوزيع، عمان-الأردن-، 1996، ص14.

³ - المرجع نفسه، ص 15.

الفصل الأول مفهوم التشكيل الفني في رواية " شرق المتوسط "

تحاول أن تحقق ذاتها في كل عمل بتعدد المبدعين وبيئاتهم وتياراتهم الفنية والفكرية وبتعدد مراجعهم بامتدادها في التراث القديم وفي صورها الحية.

أما عن الرواية العربية الحديثة في سعيها، إلى الإفادة من تنوعات شكلية تراثية من مثل السير الشعبية وكتب الأنساب والطبقات والتراجم، وكتب الرحلات والمقامات، وأعمال المتصوفة وكتب الأدب و التاريخ و التراث الشعبي مثل حكايات ألف ليلة وليلة وغيرها، ينبغي ألا تعدّ عودة إلى الماضي بحثا عن شكل عربي أصيل، أو عودة إلى أشكال منجزة، مثلما ينبغي ألا تعدّ صورة وحيدة ومقترحة لشكل الرواية، وإنما تبقى المحاولة اتجاها فرديا أو جماعيا يحقق حاجة فنية تقتضيها أعمال بعينها يحسّ الكاتب بأن إيقاع هذا العمل لا بدّ أن يتشكّل تشكيلا معينا (...). وينبغي ألا نفاجا لذلك، حين يطالعنا أديب بعمل آخر يحيلنا إلى مرجع تراثي، لأنّ إيقاع العمل يتطلب تشكيلا خاصا¹.

والمقصود برأيه هاهنا أن المبدع في تكوينه يكون على اطلاع على أشكال سردية سابقة، وبالتالي سيكون على قدر من التأثير بها لأنها قد تكون أشد حضور من مجرد وعيه بها، فالأشكال السردية و إن أهملها الدارسون، وحاولوا الابتعاد عليها ظلت جزءا أساسيا يلهم المبدع والقارئ على حد سواء، لكن يجب أن لا نعدّها شكل ثابت الملامح والعناصر والخصائص².

وبهذا على المبدع أن يبدع عمله المعاصر أو الحديث بشروط تختلف عن أيّ عمل سابق، شروط تخص إبداع عالم روائي مختلف يُتيح للمبدع التعبير عن موقفه، موقعه، ووجهة نظره، بالاستعانة بخبرته الإبداعية، وأدواته المعرفية دون حدود وقيود، بين العصور والأمكنة والثقافات والخبرات والتقنيات، غير أنّ البحث عن عناصر شكلية وخارجية جديدة في الرواية العربية الحديثة يجب أن يكون سعيًا من المبدع نحو بناء عالم روائي مُعين يخدم مضمونه المعاصر وينهض بحساسية الإبداع لديه اتجاه مشكلات

¹ - إبراهيم السعافين: تحولات السرد- دراسات في الرواية العربية- ، ص 17.

² - المرجع نفسه، ص 20.

الفصل الأول مفهوم التشكيل الفني في رواية " شرق المتوسط "

عصره، وقضايا الإنسان الحديث والمعاصر، فمن سمات الحداثة الجوهرية أنها تتطلب تلويحاً شكلياً يستجيب ويحقق دورها الفعال في بنية العمل الروائي.

وهذا ما يحيلنا إلى فكرة أنّ الهندسة الشكلية والحرفية والصنعية لا يحقق النجاح لأي عمل روائي تغيب عنه روح الإبداع والإحساس بالواقع والحياة، فالرواية عمل فني جميل مُبتدع يثير فينا الأفكار والمواقف و الإحساس، وليست ظاهرة جامدة ثابتة بل هي ظاهرة دائمة النمو والحركة والتشكّل والتغيّر مستجيبة في حركتها لظروف بنيتها¹.

ومن كل هذا نصل إلى أنّ كل رواية لها شكلها الخاص، فالمُبتدع من حقّه أن يعيش حياته ويتفاعل مع واقعه ويشهد على عصره، مع حريته الكاملة في أن يعيد تشكّل روايته من خلال ما يتناسب وحاجاته الفنية، أي أن يبتدع شكلاً جديداً لا يفيد من هذا ولا ذاك بل ما يخدمه فقط.

على أن العناصر الأساسية في تشكيل الرواية التي يمكن إبرازها دوماً، وكما يحددها الدكتور "حسن بحراوي" في كتابه "بنية الشكل الروائي" والدكتور "عبد المالك مرتاض" في كتابه "في نظرية الرواية" وكذا الدكتور "حميد لحميداني" في كتابه "بنية النصّ السردية" كانت:

- | | | |
|-------------|------------|------------|
| 1/ الزّمان. | 2/ المكان. | 3/ اللّغة. |
| 4/ الشخصية. | 5/ السرد. | 6/ الوصف. |

¹ إبراهيم السعافين: تحولات السرد -دراسات في الرواية العربية-، ص 20.

ثانيا/ عناصر التشكيل الفني:

1- مفهوم عناصر التشكيل الفني:

1-1- مفهوم الزمان:

أ- لغة: ورد في لسان العرب، (مادة الزمن) " الزمن والزمان اسم لقليل الوقت وكثيره، وفي المحكم: الزمن والزمان العصر، والجمع أ زمن وأزمان وأزمنة... وأزمن بالمكان: أقام به زمانا، وقال شمر: الدهر والزمان واحد..."¹

ب- اصطلاحا:

يظنّ مفهوم الزمن هو الأكثر ميوعة في تحديده، والكشف عن ماهيته باعتباره حقيقة مجردة لا ندركها بصورة صريحة، ممّا خلق صعوبة في تحديد مفهومه لدى أيّ باحث في أيّ حقل².

يُعرف الزمن على أنه المادة المعنوية المجردة التي يتشكّل منها إطار كلّ حياة، وحيث كلّ فعل وكلّ حركة³ فالزمن إذن هو محور الحياة، والرواية فنّ الحياة، صار يمثل محور الرواية وعمودها الفقري الذي يشدّ أجزاءها، وتعتبره "مها حسن القصراوي" في كتابها "الزمن في الرواية العربية" المحور الأساسي المميّز للنصوص الحكائية بشكل عام ففرقت بذلك بين الزمن الواقعي والزمن الروائي تقول: "عالم الرواية له زمنه الذي هو زمن متخيّل، وهو زمن يختلف عن الواقع الاجتماعي الذي تحكي عنه الرواية أو الذي تتناول عناصره منه: كالشخصيات أو الأحداث"⁴.

¹ - ابن منظور : لسان العرب، المجلد الثالث عشر، مادة (زم ن)، ص20.

² - مها حسن القصراوي: الزمن في الرواية العربية ، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت - لبنان - ، 2004، ص13.

³ - الشريف حبيبة: بنية الخطاب الروائي - دراسة في روايات نجيب الكيلاني-، ط1، عالم الكتب الحديث، أربد -الأردن -، 2010، ص39.

⁴ - المرجع نفسه، ص40.

الفصل الأول مفهوم التشكيل الفني في رواية " شرق المتوسط "

كما تعرّف الزمن الروائي بأنه: "زمنها الباطني المحايث المتخيّل الخاص، أي بنيتها الزمنية التي تتحدّد بإيقاع ومساحة حركتها والاتّجاهات المختلفة أو المتداخلة لهذه الحركة، كما تتشكّل بملامح أحداثها وطبيعة شخصيّاتها ومنطق العلاقات والقيم داخلها، و نسيج سردها اللغوي، ثمّ أخيراً بدلالاتها العامّة النّابعة من تشابك وتضافر ووحدة هذه العناصر جميعاً"¹.

1-2- مفهوم المكان:

أ/ لغة: ورد في "لسان العرب" مادة (مكن): المكان والمكانة واحد وعن ابن سيده المكان الموضع والجمع أمكنة... وأماكن جمع الجمع، قال ثعلب: يبطل أن يكون مكان فعالاً لأن العرب تقول: مكانك وقم مكانك، اقعّد مقعدك، فقد دل هذا على أنه مصدر من كان أو موضع منه². وبهذا فإنّ المدلول اللغوي للفظّة المكان في " لسان العرب" جاءت للدلالة على "الموضع".

ب/ اصطلاحاً:

أمّا في الاصطلاح فقد اختلفت مفاهيمه باختلاف الدّراسات فالّدكتور "حميد لحميداني" في كتابه "بنية النصّ السّردّي" يسمّيه "الفّضاء الجّغرافي"، يقول: " يُفهم الفّضاء في هذا التّصور على أنّه الحيز المكاني في الرّواية أو الحكّي عامّة. ويطلق عليه عادة الفّضاء الجّغرافي...، فالّفّضاء هنا هو معادل لمفهوم المكان في الرّواية، ولا يقصد به المكان الذي تشغله الأحرف الطّباعيّة التي كتبت بها الرّواية، ولكنّ ذلك المكان الذي تصوّره قصّتها المتخيّلة"³.

¹ - مها حسن القصراوي: الزمن في الرواية العربية، ص 38.

² - ابن منظور: لسان العرب، المجلد الثالث عشر، مادة (م ك ن).

³ - حميد لحميداني: بنية النصّ السّردّي من منظور النّقد الأدبي، ط1، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر

والتوزيع، بيروت - لبنان، -، 1991، ص 54 .

الفصل الأول مفهوم التشكيل الفني في رواية " شرق المتوسط "

أما الدكتور " عبد المالك مرتاض " في كتابه " في نظرية الرواية " فيطلق عليه الحيز الجغرافي: " إن مصطلح الفضاء قاصر بالقياس إلى الحيز، فالفضاء عنده هو ما كان جاريا في الخواء والفرغ، أما الحيز ينصرف استعماله إلى الثنوء، الوزن، الثقل والحجم، والشكل...، على حين أن المكان نريد أن نقفه في العمل الروائي، على مفهوم الحيز الجغرافي وحده"¹.
أما الدارسون الذين اهتموا باستعمال كلمة المكان نجد " غالب هالسا " وممن شجّع على استخدام كلمة "مكان" نجد الدكتور " شاكر النابلسي " في كتابه " جماليات المكان في الرواية العربية"، وهذا ما وضّحه في مقدمة كتابه ويقول: ((تأتي الدراسة، تلبية لأمنية عزيزة، كان غالب هالسا، قد أعرب عنها في مقدمته لكتاب جماليات المكان لباشلار. قال أنه **يطمح... أن يقوم بدراسة لجماليات المكان العربي اهتمام، الجامع، المئذنة...**))²
وبهذا فقد أعطى التوجه الباشلاري في شعرية المكان اهتمام مبكر وحيوي لدراسة الفضاء كما توضّحه الدراسة مسعودة لعريط في دراسة عن الفضاء في الرواية النسائية المغربية³.

إلا أنه وعلى الرغم تعدّد التعريفات، فإنّ للمكان دورا كبيرا في إضفاء جانب فني في تشكيل البنية الروائية وتجسيد رؤيتها. على العموم فالمكان السردى مُتخيلا أي معبرا عنه بألفاظ وصيغ وحالات ورؤى وصوّر خيالية، تتيح مخيلة الروائي للراوي استكشافه والتعمق

¹ - عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية، ص 122.

² - شاكر النابلسي: جماليات المكان في الرواية العربية، ط 1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت - لبنان - 1974م، ص 11.

³ - مسعودة لعريط: الفضاء في الرواية النسائية المغربية- دراسة موضوعاتية - ،رسالة دكتوراه ، إشراف الأستاذ طاهر حجار، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر، 2008/2009، ص 29.

الفصل الأول مفهوم التشكيل الفني في رواية " شرق المتوسط "

فيه، ومن ثمّ رسم حدوده وملاحمه¹، وبهذا فالمقصود بالمكان في الرواية الفضاء التخيلي الذي يصنعه الروائي من كلمات ويضعه كإطار تجري فيه الأحداث².

1-3- مفهوم اللغة:

أ/ اللغة:

وردت في "لسان العرب" اللغوة اللغا: السقط وما لا يعتد به من كلام وغيره ولا يحصل منه على فائدة ولا نفع، التهذيب: اللغو واللغا واللغوي ما كان من الكلام غير معقود عليه، قال الأصمعي: ذلك الشيء لك لغو ولغا ولغوي وهو الشيء الذي لا يعتد به، قال الأزهري: واللغة من الأسماء الناقصة، وأصلها لغوة من لغا إذا تكلم، و اللغة: اللسن: وحدها أنها أصوات يعبر بها كل القوم عن أغراضهم، وهي فعلة من لغوت أي تكلمت، وأصلها لغوة، قيل أصلها لغني أو لغو والهاء عوض، وجمعها لغى مثل برة وبرى... واللغو النطق، يقال هذه لغتهم التي يلغون بها أي ينطقون، و لغوي الطير: أصواتها³

ب/ اصطلاحا:

إنّ اللغة من الاجتهادات الكبرى التي تواجه الروائي، فاللغة من حيث هي مفردات تنظّم في علاقات نحويّة تُعتبر أولى مقومات البناء في الرواية، وبذلك سعت الرواية الجديدة ولا تزال في سعي دؤوب إلى تدمير البنية التقليديّة للرواية، بدءا بتمزيق البنية الزمنية وانتهاءا بتحطيم الشخصية... لتحتفظ بعنصر واحد منحتة كلّ الأهميّة والعناية، وهو اللغة⁴.

يُعرف المفكر الفرنسي "لالاند" اللغة فيذهب إلّا أنّها: وظيفة التعبير اللفظي للفكر، سواء كان داخليا أو خارجيا. وبهذا فاللغة في الرواية أهمّ ما ينهض عليه بناؤها

¹ - محمد صابر عبيد، وسوسن البياتي: جماليات التشكيل الروائي - دراسة - في ملحمة الروائية (مدارات الشرق) لنيل

سليمان، ط1، عالم الكتب الحديث، أربد - الأردن -، 2012، ص229.

² - عمر عاشور: البنية السردية عند الطيب صالح البنية الزمنية والمكانية في موسم الهجرة إلى الشمال، دط، دار هومة، الجزائر، 2010، ص29.

³ - ابن منظور: لسان العرب، مادة (اللغو واللغا).

⁴ - بعبطيش يحي: خصائص الفعل السرد في الرواية العربية الجديدة قسم الآداب اللغة العربية، كلية الآداب واللغات، جامعة منتوري، قسنطينة - الجزائر -، جانفي 2011، ص07.

الفصل الأول مفهوم التشكيل الفني في رواية " شرق المتوسط "

الفني، فالشخصية تستعمل اللغة، أو توصف هي به مثلها مثل المكان أو الحيز والزمان والحدث فما كان ليكون وجود هذه العناصر أو المشكلات في العمل الروائي لولا اللغة¹.

1-4- مفهوم الشخصية:

أ/ لغة: وردت في لسان العرب مادة (شخص)، الشخص: جماعة شخص الإنسان وغيره، مذكر، والجمع أشخاص وشخوص و شخاص، والشخص سواد الإنسان وغيره ثراه من بعيد، الشخص كل جسم له ارتفاع وظهور، والمراد به إثبات الذات فاستعير لها لفظ الشخص، والشخص: العظيم الشخص وقيل شخص إذا كان ذا شخص وخلق عظيم بين الشخاصة، قال ابن سيده: لم أسمع له بفعل فأقول إن الشخاصة مصدر، أبو زيد: رجل شخيص إذا كان سيذا، والشخوص السير من بلد إلى بلد².
جاءت اللفظة ذات معان كثيرة: "العلو" و"الارتفاع"، "السير"، "الخلق العظيم".

ب/ اصطلاحا:

الشخصية من أهمّ العناصر التي يقوم عليها العمل الروائي فهي الكائن الإنساني الذي يتحرك في سياق الأحداث وبما أنّ الشخصية تكون من خيال الكاتب فيجب أنّ تكون ممكنة الحدوث مع الحياة الواقعية اليومية التي يحيها البشر بالفعل³.
ثمّ إنّ الشخصية في الرواية أو الحكاية عامة...بمثابة دال من حيث أنّها تتخذ عدّة أسماء أو صفات تلخص هويتها، أمّا الشخصية كمدلول، فهي مجموع ما يُقال عنها بواسطة جمل متفرقة في النصّ أو بواسطة تصريحاتها، و أقوالها، وسلوكها، وبهذا فإنّ صورتها لا تكتمل إلاّ عندما يكون النصّ الحكائي قد بلغ نهايته ولم يعد هناك شيء يُقال في الموضوع⁴.

¹ - عبد الرحيم عزاب: بنية اللغة في رواية صوت الكهف قراءة في اليات الخطاب السردي عند عبد المالك مرتاض " مقاربة جمالية"، دورية أكاديمية محكمة تصدر عن المدرس العليا للأساتذة، ع4، قسنطينة - الجزائر، - أفريل 2008، ص108.

² - ابن منظور: لسان العرب، المجلد السابع (مادة ش خ ص).

³ - وادي طه: دراسات في نقد الرواية، ط3، دار المعارف، القاهرة - مصر، - 1992، ص 25.

⁴ - حميد لحميداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص 51.

الفصل الأول مفهوم التشكيل الفني في رواية " شرق المتوسط "

هذا وقد أدرج "حميد لحميداني" مفهوم الشخصية الحكائية عند غريماس، وذلك على مستويين:

* **مستوى عاملي:** تتخذ فيه الشخصية مفهوما شموليا مجردا يهتم بالأدوار ولا يهتم بالذوات المنجزة لها.

* **مستوى ممثلي:** (نسبة إلى الممثل) تتخذ فيه الشخصية صورة فرد يقوم بدور ما في الحكى، فهو شخص فاعل، يشارك مع غيره في تحديد دور عاملي واحد، أو عدة أدوار عاملية¹.

وبهذا تتحوّل الشخصية في الرواية إلى كائن مرسوم على ورق، ليس له أي وجود فعلي فهو موجود في المادة المتخيّلة التي صاغها ذهن المبدع، فهي كائن نصي معنوي وليس مادّي، يتجسّد تشكّليا وجماليا على الورق.²

1-5- السرد:

أ/ **لغة:** وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم في قول الله تعالى في الآية (11) من سورة سبأ ﴿أَنْ أَعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ومما قاله القرطبي في تفسير عبارة "وقدر في السرد": السرد نسج خلق السرود... ويقال سرد الحديث و الصوم، فالسرد فيهما أن يجيء بهما ولاء في نسق واحد هذا وإن السرد هو الربط المتقن بين أجزاء الشيء، كما ووردت في "لسان العرب" (مادة سرد): هو مقدمة شيء إلى شيء، تأتي به متسقا بعضه في إثر بعض متتابعًا، وفلان يسرد الحديث إذا كان جيد السياق له، وسرد له تابعه.³

¹ - حميد لحميداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص 52.

² - محمد صابر عبيد وسوسن البياتي: جماليات التشكيل الروائي، ص 171.

³ - أحمد التيجاني، سي كبير: شعرية الخطاب السردي في رواية المستنقع للمحسن بن هنية، رسالة ماجستير معهد اللغة والأدب العربي، إشراف عبد الرحمان تبرماسين، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2010/2011، ص 44.

الفصل الأول مفهوم التشكيل الفني في رواية " شرق المتوسط "

ب / اصطلاحا:

السرد: هو طريقة الراوي في " الحكّي " أي في تقديم الحكاية، والحكاية هي أولا سلسلة من الأحداث. أمّا مفهوم السرد عند حميد لحميداني فيقوم على عاملين:¹
أولاهما: أن يحتوي على قصة ما، تضم أحداثا معينة.
وثانيهما: أن يعين الطريقة التي تُحكى بها تلك القصة وتسمى هذه الطريقة سردا، وذلك أن قصة واحدة يمكن أن تحكي بطرق متعدّدة، ولهذا السبب فإنّ السرد هو الذي يعتمد عليه في تمييز أنماط الحكّي بشكل أساسي.
كما يستخلص أن الرواية أو القصة باعتبارها محكّيا أو مرويا تمرّ عبر القناة التالية:²



إنّ مصطلح السرد هو مُصطلح نقدي حديث يعني نقل الحادثة من صورتها الواقعية إلى صورة لغويّة وبشكل عام هو قصّ أحداث أو أخبار، سواء تعلّق الأمر بالأحداث التي وقعت فعلا، أو تلك التي ابتكرها الخيال.³
كما أنّ السرد عادة يكون خاص بالرواية، لأنّه يتعلّق بتقديم الحكاية عن طريق اللّغة فقط، وهو أخصّ من (الحكّي)، لأنّه مجرد صياغة لغويّة، بينما الحكّي صناعة للحكاية بكلّ مستوياتها.⁴

¹ - صالح ابراهيم: أزمة الحضارة العربية في أدب عبد الرحمن منيف، ص 124.

² - حميد لحميداني: بنية النص السردى من منظور النقد الأدبي، ص 45.

³ - أمّنة، يوسف: تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، ط1، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، 1997، ص 28.

⁴ - عبد الرحيم، الكردي: السرد في الرواية العربية، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة - مصر - 2006، ص 102.

1-6- الوصف:

أ / لغة: ورد في لسان العرب مادة (الوصف): " وصف الشيء له وعليه وصفا وصفة: حلاه، وقيل: الوصف المصدر والصفة الحلية، واتصف الشيء: أمكن وصفه... واتصف من الوصف، ابن الأعرابي: أوصف الوصيف إذا تم قده و أصفت الجارية، ووصيف و وصفاء ووصفة و وصائف، والوصف العبد، والأمة وصيفة، ويقال وصف الغلام إذا بلغ الخدمة، فهو وصيف بين الوصافة، والجمع وصفاء..."¹
لقد جاءت لفظة الوصف للدلالة على "التزيين" و"صفة للحلية".

ب/ اصطلاحاً: يعد الوصف في الكتابة القصصية الحديثة مستوى من مستويات التعبير عند تجربة معقدة، يتداخل مع المقومات الأخرى للنص ليؤدي معنى ما، أو يعلن موقفاً أو يعبر عن معاناة، يُدرج "حميد لحميداني" تعريف "جيرار جنيت" للوصف والأساس الذي اعتمده في التفريق بينه وبين السرد، يقول: "كلّ حكي يتضمن - سواء بطريقة متداخلة أو بنسب شديدة التغيير- أصنافاً من التشخيص لأعمال أو أحداث تكوّن ما يوصف بالتّحديد سرداً (NARRATION). هذا من جهة، ويتضمّن من جهة أخرى تشخيصاً لأشياء أو لأشخاص، وهو ما ندعوه في يومنا هذا وصفاً (DESCRIPTION)"².

¹ - ابن منظور: لسان العرب، المجلد التاسع، (مادة وص ف).

² - حميد لحميداني: بنية النص السردى من منظور النقد الأدبي، ص78.

الفصل الأول مفهوم التشكيل الفني في رواية " شرق المتوسط "

فالوصف إذن يتكفل بتأطير الأحداث، ويأخذ على عاتقه رسم أجوائها، بعبارة أخرى تقول: ((إنَّ الوصف عملية تُهيئ الديكور اللازم للحدث، فالمعنى يبقى قاصرا في بعض الأحيان، ويكون محدودا إذا تجرّدت الأفعال والحركات - وكذلك الشخصيات - من الصفات والمؤهلات، فهو نقل للعالم الخارجي، والعالم الداخلي من خلال الألفاظ والعبارات والتشابه والاستعارات التي تقوم لدى الأديب مقام الألوان لدى الرسّام، والتّغم لدى الموسيقي، فالوصف إجراء فني لا غنى عنه للأديب، إذا أراد إنتاج أثر أدبي ناجح)).¹

¹ - إبراهيم صحراوي: تحليل الخطاب الأدبي-دراسة تطبيقية- رواية جهاد المحبين لرجي زيدان أنموذجا، ط1، دار الأفاق، الجزائر، 1999، ص101.

الفصل الثاني

مستويات التشكيل الفني في رواية "شرق المتوسط"

أولاً : المستوى الزمكاني في رواية " شرق المتوسط "

1. المستوى الزماني

2. المستوى المكاني

ثانياً : المستوى السردي و اللغوي في رواية " شرق المتوسط "

1. المستوى السردى وأنماطه

2. المستوى اللغوي

ثالثاً : مستوى البنية الشخصية في رواية " شرق المتوسط "

1. مستوى البنية الشخصية

2. الوصف

الفصل الثاني مستويات التشكيل الفني في رواية " شرق المتوسط "

كان للروائي "عبد الرحمن منيف" دور ريادي في الرواية العربية، خاصة في مجال الرواية الملتزمة التي تعالج قضايا الإنسان العربي المعاصر، وتحلل الظروف السياسية والاجتماعية والنفسية التي يعيشها، وروايته " شرق المتوسط " من الروايات التي نالت منزلة رفيعة من بين تجاربه الروائية العديدة وهذا راجع لثقافة "عبد الرحمن منيف" وإطلاعه على علوم العصر المختلفة كعلم السياسة¹ و"علوم النقط" والتي أفرزت عن موضوعات روائية جادة، وتعدّ رواية " شرق المتوسط " من الروايات ذات الأهمية من حيث الموضوع، ولا يخفي "عبد الرحمن منيف" رأيه في وظيفة الرواية، فهو يرى أنّ مهمّاتها الإشارة إلى مشكلة ما، ومن الطبيعي أن يدرك الفنان دوره في التفاعل مع الواقع بتغييره أو تعديله وهو في كلا الحالتين غير راض عنه بصورة جزئية أو كلية¹، لكن هذا لم يمنع من أن تبرز الرواية في الجانب الفني وتتألق، فقد أراد أن يكون الموضوع ناجحا وأن ينتهي إلى شكل جديد²، فالرواية واحدة من الفنون الأدبية التي تتجاوز بحساسية كبيرة مع ضغوط العصر ومتغيراته، وما يطرأ من تغيير في سلوك الناس وتفكيرهم، فتكوّنت الرواية في ظلّ ديناميّة خاصة لتنظيم العلاقات التي يطرحها الواقعي والاجتماعي والذاتي، فعُدّ النصّ الروائي قالبا نصيا مفتوحا جدّا لذلك يرفض الكتاب المبدعون الأشكال الجاهزة في بناء رواياتهم ويسعون إلى التجريب والبحث لخلق شكل جديد يستوعب تجاربهم المعاصرة³.

إنّ التشكيل الفني في الرواية أساسه خدمة مضمون الرواية بالدرجة الأولى، فاستخدام الروائي لعناصر التشكيل الفني (المكان، الزمان، الشخصيات، اللغة، الوصف، السرد) لا يكون اعتباطيا أبداً، فكلّ عنصر إلّا وله غاية وهدف، ويعدّ الجانب الفني والجمالي في الرواية من أبرز ما يشدّ انتباه القارئ، ومن أهمّ العناصر التي تتشكّل منها الرواية، ما يلي:

¹ - إبراهيم السعافين : تحولات السرد -دراسات في الرواية العربية-، ص329.

² - عبد الرحمن منيف : شرق المتوسط، ص 135.

³ - مها حسن القصاروي : الزمن في الرواية العربية، ص36.

الفصل الثاني مستويات التشكيل الفني في رواية " شرق المتوسط "

* العنوان:

يعدّ العنوان أحد العناصر الأساسية في الرواية، وهو كذلك في رواية "شرق المتوسط"، فالملاحظ للوهلة الأولى أنّ عنوان الرواية واضح لا غموض فيه، فهو عنوان حقيقي وليس مجازي وكل من يقرأ الرواية لا يجد غير ذلك، وأنّ المقصود "بشرق المتوسط" هو المنطقة التي تقع شرق البحر المتوسط وليس غربها، إلا أنّ "منيف" جعل منه عنوانا غير عادي من حيث إشراك القارئ في تحليل العنوان ((لأنه قد يسأل البعض: أين "شرق المتوسط"؟ وأيّ الدول تُقصد في روايات "منيف" إذ تسمى "شرق المتوسط" أظنّ أنّه قصد بـ"شرق المتوسط" "شرق المتوسط" أولا، أي "البنان" و"سوريا"، وإذا توغلنا قليلا، نصل إلى الأردن والعراق ثمّ الصحراء))¹.

وهناك من يضمّ فلسطين ومصر، على الرّغم من وجود مناطق لا تشترك في حدودها مع البحر المتوسط ولكنها معنيّة، يقول "عبد الرحمن منيف" في مقدمة الرواية: ((في زمن ما، وعلى هذه الأرض الغبراء الممتدة إلى ما لا نهاية، من شواطئ المتوسط وحتى الصحراء البعيدة، كانت أشياء كثيرة تحدث))²، وبهذا أصبح للعنوان بُعدا آخر وهو أنّ الرواية جاءت تحمل قضية كبيرة في الحياة الإنسانيّة والسياسيّة، فهي تعني كلّ الوطن العربيّ، يقول: ((إنّ هذه الرواية لا تعني أحد، وتعني كلّ الناس أيضا))³، وكأنّه يقصد بذلك أنّ شرق المتوسط هو سجن كبير وهنا يتضح مستوى الدلالة أكثر⁴، أمّا الهدف من العنوان فيوضّحه "عبد الرحمن منيف" في مقدّمة الرواية، من خلال مضمون المادتين الأولى والخامسة من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وهو باختصار حقّ الشعوب في الحرّية.

¹ - صالح إبراهيم: أزمة الحضارة العربية في أدب عبد الرحمن منيف، ص 47.

² - عبد الرحمن منيف: مقدمة الرواية، د.ص.

³ - المصدر نفسه، ص 04.

⁴ - المرجع السابق، ن.ص.

الفصل الثاني مستويات التشكيل الفني في رواية " شرق المتوسط "

أولاً - المستوى الزمكاني في رواية " الشرق المتوسط":

1-المستوى الزماني:الرواية بناء، يُعد الزّمن محورها يضبط إنشاءها وتشكيلها ويعمل على

هندسة منظوماتها، وبناءا على هذا التشكيل الزّمني تأخذ الرواية صورتها .

يُعرف الزّمن الروائي على أنّه: زمن داخلي تخيلي من صنع الخيال الفني، يستخدم

الكاتب لبلورته وتشكيل بنيته، آليات فنية تخدم السرد، تحقّق شروطه الخطابية

والجمالية، وتتمثّل إشكالية الزّمن الروائي في تحديد مستوياته نتيجة لتداخلها وتشابكها في

بنية النص¹، غير أنّ الروائي ليس ملزماً بالحفاظ على الخطّ الطبيعي للزّمن .

إنّ الزّمن في الرواية لم يأخذ شكله الطبيعي أو التقليدي، حيث التسلسل الزّمني

المنطقي الماضي ثمّ الحاضر، ثمّ المستقبل،لقد أبدع "عبد الرحمن منيف" في نسج أحداث

هذه الرواية، وهذا إنّ دلّ فإنّه يدلّ على مدى استقاداته من تقنيات السرد الغربي

وأشكاله، وكذا العودة إلى التراث العربي،وبهذا فقد كان لتوظيف الزّمن عند"عبد الرحمن

منيف" طريقته الخاصة، فتشكيل زمن الخطاب السرد في رواية"شرق المتوسط" أحدث ما

يسمّى : ((المفارقة الزمنية)).

1-1- المفارقة الزمنية ومستوياتها:

والمقصود بها: انحراف زمن السرد، حيث يتوقّف استرسال الراوي في سرده المتناهي

ليفصح المجال أمام القفز باتجاه الخلف أو الأمام على محور السرد، وهي تتخذ شكلين²:

¹ - مها حسن القصراري: الزمن في الرواية العربية، ص 56.

² - حسن بحرأوي: بنية الشكل الروائي، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت- لبنان-، 1990، ص119.

الفصل الثاني مستويات التشكيل الفني في رواية " شرق المتوسط "

1-1-1- الاسترجاع: كل عودة للماضي، تشكّل بالنسبة للسرد استذكارا يقوم به الروائي عادة لتفسير أمور و إيضاحها وهو قسمان:

أ- الاسترجاع الخارجي: وهو ينقسم إلى قسمين هو الآخر:

-الاسترجاعات الخارجية بعيدة المدى: وهي الممتدة إلى مرحلة الطفولة، وتكاد تبرز في معظم الأعمال الروائية، ومثال ذلك في الرواية حينما استرجع " رجب" أحداثا منذ الطفولة، يقول: ((انكسرت يدي حين كنت في العاشرة، بكيت بتوجّع، صرخت من الألم، رأيت أمي تقول لي بلهجة لا تستعملها إلا في لحظات الغضب:

- لو رآك أبوك تبكي مثل النساء، لكسر يدك الثانية...))².

-الإسترجاعات الخارجية قريبة المدى: وهو نقطة بدء الحاضر السردى³.

ومثال ذلك في الرواية:استرجاع"رجب إسماعيل"يوم توقيعه على وثيقة سقوطه السياسي، في يوم الثلاثاء 16 تشرين الأول، وقد تجلّى الاسترجاع في افتتاحية النص، منذ بدء الحاضر السردى وهو على متن "أشيلوس" البآخرة الرّاحلة باتجاه الغرب: ((يوم الثلاثاء 16 تشرين الأول الساعة السادسة مساء انتهى كل شيء))⁴.

ويحدّد مدى هذه المفارقة الزمنية بحوالي أسبوعين، وهي الأيام التي قضاها مع"أنيسة"بعد خروجه من السجن وقبل سفره بأسبوعين وبعد استرجاع"رجب"المتكرّر لهذا اليوم القريب من حاضره، إشارة إلى التمزق النفسي الذي أصابه، وإحساسه بالضعف والانهايار وإذا كان حاضر السرد في"شرق المتوسط"بدأ برحلة" رجب"البحرية بعيدا عن الوطن فإنّه تجربة السجن الماضية التي استمرت خمس سنوات كانت جزءا من هذا الحاضر.⁵

¹ - حسن مجراوي : بنية الشكل الروائي، ص121.

² - عبد الرحمن منيف : شرق المتوسط، ص33.

³ - مها حسن القصرابي : الزمن في الرواية العربية، ص198.

⁴ - المصدر السابق، ص09.

⁵ - المرجع السابق، ن ص.

الفصل الثاني مستويات التشكيل الفني في رواية " شرق المتوسط "

ب- الاسترجاع الداخلي: يختص هذا النوع باستعادة أحداث ماضية، ولكنها لاحقة لزمان بدء الحاضر السردى وتقع في محيطه، ونتيجة لتزامن الأحداث يلجأ الراوي إلى التغطية المتأوبة¹.

وفي رواية "شرق المتوسط" تعد شخصية "رجب" أبرز الشخصيات التي تقوم بالاسترجاع الداخلي عن طريق استدعاء ذكريات الماضي سواء كان هذا الماضي خارج إطار زمن الحاضر السردى أم في محيطه، إذا كان "رجب" يسترجع الماضي الخارجي المتمثل في مرحلة الطفولة و السجن وخروجه منه، وبداية الإحساس بالندم والتهدم النفسى فإنه يستعيد بذلك الماضي الداخلي، لأنه شخصية تعيش على الذكرى ولا تملك في حاضرها سوى اللحظة الزمنية التي تمر وتصبح ماضيا، يجتره دائما إما ليسعده كما في ارتداده إلى سنوات طفولته وعلاقته بأمه، أو ليحزنه كما في استعادة أيام التعذيب والسقوط السياسى .

يسترجع "رجب" الماضي الداخلي، ومثال ذلك استعادة أيام "أشيلوس" الأولى حيث بدأ الحاضر السردى مع بداية زمن الخروج من الوطن، وكانت "أشيلوس" الباهرة رفيقة "رجب" في رحلته البحرية يناجيه، ويعبر لها عن همومه وآلامه، لذلك يفقدتها بعد أن أصبحت ماضيا، ويستعيد أيامها في حاضره السردى في فرنسا، يقول: ((ابتعدت أيام "أشيلوس" وجفت معها أطراف البشر الذين كانوا عليها))²، لقد اعتمدت الرواية على الاسترجاع وعلى الذكرى في أغلب فصولها، على الرغم من أن الذكرى عملا صعبا في أغلب الأحيان، فهي ليست مُعطى . إنها ليست شيئا جاهزا، وليس بالإمكان تحقيقها إلا بالانطلاق من قصد راهن، فلا تتطلق صورة بدون سبب، بدون تجمع الأفكار وتداعياها .

¹ - مها حسن القصاروي: الزمن في الرواية العربية ، ص199.

² - عبد الرحمن منيف: شرق المتوسط ، ص140.

الفصل الثاني مستويات التشكيل الفني في رواية " شرق المتوسط "

ويبدو أنه قد يلزم لعلم نفسي أكمل أن يشدد على الشروط العقلانية أو الشرطية - الظرفية للعودة إلى الماضي))¹.

أما عن أهميته فتكمن في قدرة الكاتب على الاختيار من الماضي ما يستدعيه انفعال اللحظة الحاضرة داخل النص الروائي.

ويُعد الاسترجاع الخارجي هو الأكثر شيوعاً في الرواية الحديثة، لأنّ لجوء الروائي إلى تضيق الزمن السردى وحصره، دفعه إلى تجاوز هذا الحصر الزمني، بالانفتاح على اتجاهات زمنية حكاية ماضية تلعب دوراً أساسياً في استكمال صورة الشخصية والحدث، و"عبد الرحمن منيف" في روايته الناجحة "شرق المتوسط" لم يغفل هذا الجانب فكانت للاسترجاعات الخارجية المستخدمة دوراً في استحضار شخصية الأم كل مرة فهي لم تظهر في زمن السرد الذي جاء بعد وفاتها، لكن استرجاعات "رجب" و"أنيسة" منحها الحضور والأهمية في تجربة "رجب" النضالية²، ومثال ذلك قول "رجب": ((كانت أمي صخرة كانت أصلب من الصخور... آه لو أستطيع أن أرى وجهها لثانية واحدة))³.

((كنت ألوم أمي كثيراً وأنا أراها كالتحفة تحوم في البيت والأزقة طوال النهار، كانت تقضي وقتها أمام السجّج))⁴. وفي موقف آخر يورد "رجب" رداً لأمه وكيف كانت تُحاوره:

((-لكن يا ابني أنا أم وأنت تعرف قلب الأم))⁵.

كان للمقاطع الاسترجاعية الخارجية قريبة المدى والبعيدة المدى في رواية "شرق المتوسط" دوراً مهماً تمثل في الكشف عن عمق التحول في حياة الشخصيات وحالة التغيير الناتجة عن حركة الزمن والمجتمع.⁶

¹ - غاسون باشلار: جدلية الزمن، ترجمة خليل أحمد خليل، ط3، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان - ، 1992، ص66.

² - (ينظر) مها حسن القصراوي: الزمن في الرواية العربية، ص 195.

³ - عبد الرحمن منيف: شرق المتوسط، ص 32.

⁴ - المصدر نفسه، ص 50.

⁵ - المصدر نفسه، ص 65.

⁶ - المرجع السابق، ص 197.

الفصل الثاني مستويات التشكيل الفني في رواية " شرق المتوسط "

1-1-2-الاستباق:تصوير مُستقبلي لحدث سيأتي مُفصلاً فيما بعد¹،وهو نوعان في النصوص الروائية.

- الاستباق كإعلان:وهو أن يعلن صراحة عن سلسلة الأحداث التي سيشهدها السرد في وقت لاحق،وتُعد افتتاحية بعض النصوص الروائية استباقاً إعلانياً فيعلن الراوي صراحة نهاية حدث رئيسي ونتائجه ثم يترك لحركة النص بين زمن السرد وزمن الحكاية الكشف عن أسباب الحدث ونتائجه².

وهو في الرواية يتجسد من بداية الرواية حين بدأ السرد من نقطة زمنية تتعارض شكلياً مع هذا الأمر، وهو الخروج من السجن، ثم بدأ بشرح الأسباب التي دعت للخروج، يقول: ((يوم الأربعاء 17 تشرين الأول، كُنت أحزم أغراضي في الحقيبة البنية وأغادر السجن

- جاءت الموافقة على إطلاق سراحك، وغداً قبل الظهر ستكون حراً... لم أفاجأ لقد دفعت الثمن الذي طلبوه كاملاً ولم يبق إلا أن أغادر السجن))³، ففي الفصل الأول ومنذ بداية الأحداث يُعلن عن يوم خروجه من السجن.

وقد اعتمدتُ دراسة "عادل الأسطة"في تقسيم أحداث الفصل الأول الذي جاء كالتالي:

- 1- حيث كان مبحراً على ظهر "أشيلوس" .
- 2- تحدّث عن يوم خروجه.
- 3- ثمّ يتذكّر ما قاله له، في ذلك اليوم طبيب العيادة.
- 4- ثمّ يتذكّر ما حدث معه يوم الثلاثاء مساءً 16 تشرين الأول.
- 5- ثمّ يرجع ويستذكّر ما حدث معه يوم الأربعاء صباحاً 17 تشرين الأول.
- 6- يسترجع لحظة خروجه من السجن وذهابه إلى المنزل .

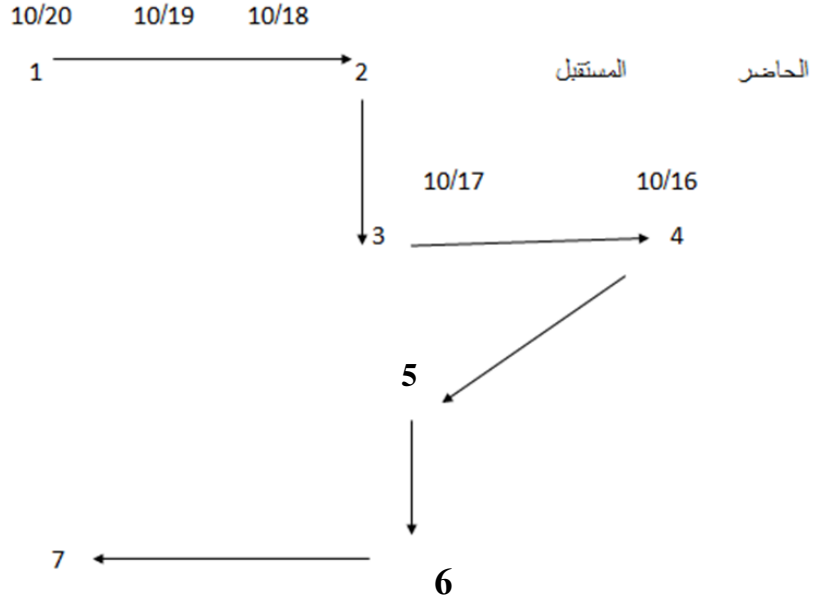
¹ - مها حسن القسراوي:الزمن في الرواية العربية، ص 211.

² - المرجع نفسه، ص218.

³ - عبد الرحمن منيف: شرق المتوسط، ص09.

الفصل الثاني مستويات التشكيل الفني في رواية " شرق المتوسط "

7- ليصبح بعدها التذكّر مزدوجا وهو في البيت يتذكّر أيام السّجن، ويمكن رسم المخطّط التالي:¹



ب - الاستباق كتمهيد: يتمثل في أحداث أو إشارات أو إحياءات أوليّة يكشف عنها الرّآوي ليمهّد لحدث سيأتي لاحقا².

ويُعد استخدام ضمير المتكلم الأنسب في الإستباقات التّمهيدية، ومثال ذلك في رواية " شرق المتوسط " قول "رجب": ((كانت أمّي تعاني من ارتفاع الضّغط منذ فترة طويلة، قلت لها عشرات المرّات كفي عن زيارتي ... لا أريد أن تريني هكذا كانت تبتسم ولا تجيب وتأتي))³ ، وكان ذلك تمهيدا لوفاة أمّه. كما يعتبر اللحم وسيلة استباقية وقد ورد في قول "أنيسة": ((حلمت أول أمس أنّك خرجت من السّجن ... لم تخرج ماشيا، خرجت على نقالة إسعاف))⁴.

¹ - عادل، الأسطة: قراءة نقدية في رواية " شرق المتوسط " ص 03 موقع إلكتروني www.najah.edu

² - مها حسن القصرآوي: الزمن في الرواية العربية، ص 213.

³ - عبد الرحمن منيف : شرق المتوسط، ص 22.

⁴ - المصدر نفسه، ص 29.

2 - الحركة السردية وتقنياتها:

1-1-2- تسريع السرد:

أ- الخلاصة: سرد موجز يكون فيه زمن الخطاب أصغر بكثير من زمن الحكاية وتتضمن البنى السردية تلخيصات لأحداث ووقائع جرت دون الخوض في تفاصيلها، فتجيء في مقاطع سردية أو إشارات¹ و يتجسد ذلك في رواية "شرق المتوسط" من خلال مواقف كثيرة منها على سبيل المثال:

موقف "أنيسة" الذي توجز فيه ما جرى لأصدقاء "رجب" المناضلين منهم والخائنين، تقول: ((باسل جُنّ، أصبح يدور في الشوارع عاريا... خالد فقد عينه نتيجة الضرب، وعينه الأخرى مهددة ومحسن.... ألا تتذكر محسن؟ لقد أصيب بالشلل وحملوه إلى البيت ورأته أمه ماتت! أنور وعبد الكريم ونجيب يعيشون الآن بحرية، أنور تزوج قبل شهرين، وترك السياسة نهائيا. نجيب يريد أن يواصل دراسته، مرّ علينا قبل أيام وطلب منّي أن أقول ذلك لك أن تتعقل الجميع تركوا)).²

ب- الحذف: يعدّ تقنية زمنية تشترك مع الخلاصة في تسريع وتيرة السرد الروائي، والقفز به في سرعة وتجاوز مسافات زمنية يسقطها الراوي من حساب الزمن الروائي³ وقد تجسّدت هذه التقنية في رواية "شرق المتوسط" بأنواع ثلاث هي:

حذف معطن: وهو إعلان الفترة الزمنية وتحديدها بصورة صريحة واضحة، بحيث يمكن للقارئ أن يحدد ما حذف زمنيا من السياق السردية⁴، ومن النماذج الدالة نجد قول "أنيسة" الذي يشير إلى المدة التي قضاها "حامد" في السجن ونماذج أخرى كالتالي (النماذج التطبيقية مرفقة برقم الصفحة مثلما هي موجودة في الرواية):

¹ - مها حسن القصاروي : المرجع السابق ، ص224.

² - المصدر السابق ، ص26.

³ - المرجع السابق، ص232.

⁴ - المرجع نفسه، ص233.

الفصل الثاني مستويات التشكيل الفني في رواية " شرق المتوسط "

| الصفحة | النموذج |
|--------|--|
| 174 | 1. ((انقضت سنة وأربعة شهور وحامد وراء القضبان)) |
| 130 | 2. ((قبضوا على حامد أوقفوه أربعة أيام، وقالوا له بسخرية: مقدمة، أرجع بعد أسبوعين)). |
| 36 | 3. ((مر أسبوعان لم أره خلالهما كما تمنيت - غدا يسافر، ... لا اليوم، لم تبق سوى ساعات قليلة وأبدأ الانتظار من جديد)). |

حذف غير معلن: وفي الحذف غير المعلن يصعب تحديد المدى الزمني بصورة دقيقة، لذلك تكون الفترة المحذوفة التي أسقطها الكاتب غامضة وغير واضحة¹.

وفي رواية "شرق المتوسط" مواقف كثيرة دالة على ذلك، وهي تقنية مدروسة ومُتعمدة من طرف الكاتب على تسريع الأحداث في كل مرة، ومثال ذلك من الرواية:

| الصفحة | النموذج |
|-----------|--|
| 59 150 | ((في الأيام الماضية راقبته بدقة كان ينهض مبكرا ولا أعرف أين يذهب (...)). ((مرت الأيام بوقعها البطيء المروع، وبدت لي أطول أيام عمري))). |

الحذف الضمني: هو أصعب أنواع الحذف فهو لا يظهر في النص، بالرغم من حدوثه، ولا تتوب عنه أية إشارة زمنية أو مضمونية، وإنما على القارئ أن يهتدي على معرفة موضعه بانتقاء أثر الثغرات و الانقطاعات الحاصلة في التسلسل الزمني الذي ينظم القصة².

ومثال ذلك في رواية " شرق المتوسط" عندما كانت "أنيسة" تتحدث عن موت "رجب" وتصف اللحظة التي مات فيها، فجأة تنتقل إلى الحديث عن "حامد" الذي تم سجنه بعد وفاة " رجب إسماعيل"، نقول: ((تقلص وجهه ثقلت أنفاسه، أصابه شحوب شديد، ثم فجأة هز رأسه بقرف متألم... وانتهى أتذكر تلك اللحظة ...

¹ - مها حسن القصراري : الزمن في الرواية العربية، ص234.

² - حسن بحرأوي: بنية الشكل الروائي، ص162.

الفصل الثاني مستويات التشكيل الفني في رواية " شرق المتوسط "

وبعد ذلك لا أتذكر شيئاً في الأسبوع الثاني لوفاة "رجب" أخذوا حامد، منذُ ذلك الوقت أخذوه (...).¹

2-1-2- إبطاء السرد:

أ- **المشهد:** يحظى بعناية خاصّة وموقع متميّز في الحركة الزمنية للنصّ الروائي بما يمتلكه من وظيفة دراميّة تعمل على كسر رتابة السرد، فالمشهد يأتي لتقديم الموقف الخاصّ².

لقد جاءت الرواية في شكل استرجاع للأحداث الماضيّة على لسان "رجب" تارة وعلى لسان "أنيسة" تارة أخرى، ما نتج عنه كثرة الحوارات الاسترجاعيّة، ومثال ذلك في الرواية حوارات "أنيسة" مع "رجب" حيث تقول: ((قلت له وفي صوتي بقايا دموع مضطربة:

- هم الذين قتلوها يا رجب، لولاهم لكانت حيّة إلى الآن!

- كيف من قتلها؟

- لا أعرف، لو لم يقتلها، لرأيته الآن أمامك!

- اجلسي يا أنيسة، لا أحتمل أكثر، أكاد أختنق)).³

والرواية فيها كثير من الحوارات وردت في صفحات مختلفة، الصّفحة 46، الصّفحة

126،

ب- **المونولوج:** حوار داخلي يحدث بين الشّخصيّة وذاتها وهي الحالة الروائيّة التي يتوقّف فيها زمن الحكاية يتّسع ويتمدّد زمن الخطاب⁴، وقد ورد في الرواية في مواقف كثيرة منها: عندما أشار الحوار الداخلي لدى "رجب" في "شرق المتوسط" إلى هزيمته ومرارته وإحساسه

¹ - عبد الرحمن منيف: شرق المتوسط، ص 174.

² - مها حسن القضاوي: الزمن في الرواية العربيّة، ص 239.

³ - المصدر السابق، ص 45.

⁴ - المرجع السابق، ص 244.

الفصل الثاني مستويات التشكيل الفني في رواية " شرق المتوسط "

العميق بالصّياح ! يحاول استرجاع صورة" العالم الخارجى " وهو في السّجن، فلا يستطيع¹:
 ((العالم الخارجى يظلّ في رأسي كتلة نار راکضة ... هل هذا العالم موجود فعلا ؟ هل
 مازال النّاس يذهبون إلى دور السّينما ؟ يضحكون ؟ (...)) الإنسان في العالم الخارجى
 يستطيع أن يذهب إلى المرحاض ساعة يشاء² إلى جانب إحساسه بالصّياح، يكشف لنا
 هذا الحوار الدّاخلى العذاب الذي يقاسيه، عبر مقارنته بين سجنه والعالم
 الخارجى، الحرّية، وتولّنا جملة الأخيرة !: ((هل يمكن أن يصبح الدّهّاب إلى المرحاض
 أمنيّة غالية، إلى هذا الحد ؟ ثمّ ينطوي على نفسه: ليس بيننا أيّ شيء))³.

ومن الحوارات الدّاخلية التي وردت كذلك في رواية "شرق المتوسط"، والتي وُجدت منذ

بداية الرّواية في قول "رجب":

| النموذج | الصفحة |
|---------|--|
| 07 | ((قلت لنفسى: بلغة فلسفية مدنسة: على الأرض حيوان له قامة طويلة...)) |
| 13 | ((قلت لنفسى: هل كان نفس التوقيع الذي أوقع به دائما ...)) |

هذا وقد تميّزت لغة الحوار لدى "عبد الرّحمن منيف" بالدّقة خاصّة في رواية "شرق
 المتوسط" فقد عُدت من التّحديات التي واجهتها الرّواية، كما عبّرت على مستوى الشّخصية
 تعبيرا صادقا⁴.

ج -الوقفه الوصفية: تقنيّة زمنيّة ترتبط بالسرد ولكنّها ترتبط بصورة عكسيّة معه، فكلمّا
 برزت المقاطع الوصفية أبطأ السرد وتقلّص الزّمن الحكائي نتيجة لاشتغال الرّاي بعملية
 الوصف⁵.

¹ - صالح ابراهيم: الفضاء ولغة السرد في روايات عبد الرحمن منيف، ط1، المركز الثقافي العربي ،بيروت - لبنان - ، 2003، ص 139.

² عبد الرحمن منيف : شرق المتوسط، ص29.

³ - المصدر نفسه، ص12.

⁴ - المرجع السابق، ص135.

⁵ - مها حسن القصاروي: الزمن في الرواية العربية، ص251.

الفصل الثاني مستويات التشكيل الفني في رواية " شرق المتوسط "

وقد وردت في الرواية في مواضع مختلفة، فهاهو "رجب" يصف لنا اللحظات التي سبقت خروجه من السجن: ((دقّت السادسة، الآغا نظر إلى ساعته ثم ساعة الجدار، ضرب الطّولة إشارة إلى أنّ المقابلة انتهت، وقبل أن أستدير، وأهزّ رأسي، كان الباب الخلفي قد انفتح))¹.

أمّا الوصف الذي تعلق بالشخصيات، فمثال ذلك قول "رجب":

((الآغا الذي أراه الآن يختلف عن الذي عرفته طوال خمس سنين بدأ لي هذه المرّة سمينا، بالكّرش الصّغير الذي يبرز فوق الحزام، أمّا يده فقد رأيتها أشدّ بياضا وثقلا، ولم ألاحظ خلال الفترة الماضية كلّها أنّ له شامة في منتصف رقبتة))².

2- **المستوى المكاني:** لا يشكل المكان الوعاء الروائي فحسب، بل يؤدي دوره في العمل الأدبي، على اعتبار أنّ المكان يمثّل هويّته وركنا من أركانه، وغياب المكانية في الرواية يفقدها خصوصيّتها وتاليا أصالتها، و نلتمس في معظم روايات "منيف" أهميّة عظيمة للمكان³. ووظّف المكان في رواية "شرق المتوسط"، بدءا من العنوان الذي جاء كمركب مكاني لم يقصد به مكان بعينه، ورد في مواضع عدّة في الرواية، يقول "رجب": ((أشيلوس، يابقرة بيضاء مقطوعة السيقان ..إلتقي إلى الشاطئ الشرقي، لتعزز دموعك في الأماكن المظلمة))، وأيضا: ((احذري يا أشيلوس إن عدت يوما للشاطئ الشرقي ...سيجدون لك سردابا أصغر من القبر))، ((السويدية التي تحمل من الشاطئ المتوسط الشرقي ثلاث كناريات صفراء في قفص كبير))، وفي عبارة: ((آه ...لو ظلّ الشاطئ الشرقي للمتوسط بركة للتماسيح)).

((أشيلوس كُفي عن الدّعابة السّمجة، اهتّزي كما أقول لك، اهتّزي مثل راقصة شرقية عدّبتها ذكرى أيام الجّوع))⁴. أمّا بالنسبة للتقسيم الخاص ببنية المكان في رواية " شرق المتوسط " فجاء كالتالي:

¹ - عبد الرحمن منيف : شرق المتوسط، ص11

² - المصدر نفسه، ص14.

³ - صالح إبراهيم: الفضاء ولغة السرد، ص13.

⁴ - الاقتباسات وردت في الفصل الرابع من الرواية .

الفصل الثاني مستويات التشكيل الفني في رواية " شرق المتوسط "

2-1- الأماكن المغلقة: وردت في الرواية أماكن مغلقة بشكل كبير على سبيل المثال:

أ- السجن: وهو المكان الذي ركّز عليه "عبد الرحمن منيف" في روايته "شرق المتوسط" من خلال شخصية "رجب"، المناضلين، الأحداث السياسيّة تلك الفترة، والتي لم يُشر إلى زمن حدوثها بطريقة مباشرة، إلا أنّها أحداث جرت قبل ربيع 1972، يقول "منيف": ((بأنّه ركّز اهتمامه بالسّجن لأنّه أعلى درجات القمع، ويؤرخ في رواياته، كما يلاحظ أحد النقاد للعصر العربيّ الذي إنتهك حقوق الإنسان جملة وتفصيلا، مادّة مادّة، بندا بندا، حتّى مات في النفوس والأذهان، الحق ومبدؤه وفكرته))¹.

هذا ويضيف "صالح إبراهيم" في كتابه أزمة الحضارة العربيّة في أدب "عبد الرحمن منيف" أنّه يريد من خلال هذا أنّ يفضح "عبر رصده للسّجون آليات القمع الذي تمارسه السلطات ولم يكتف بذلك بل عالج السّجن من حيث هو ظاهرة اجتماعيّة - نفسيّة -².

لقد جسّد لنا "منيف" السّجن مكانا للتّعذيب، يتقنّ فيه الجلاّدون بأساليب متنوعة للنّيل من المسّاجين وإرغامهم على الاعتراف، فقد استُخدمت وسائل قديمة مثل: الضّرب، السّجن الانفرادي، المياه الباردة أيّام الشّتاء، الكّي، المّنع من النّوم، استعمال العصا وهو أشجع صور التعذيب في رواية "شرق المتوسط"، الجلد، ووسائل اعتبرت جديدة، مثل: الكهّباء، القَطَط ومن الاقتباسات الدّالة، نجد قول "رجب": ((كنت سجيناً... ليس سجيناً عادياً فقط، وإنما سجين في تلك السّرايب المظلمة الباردة المليئة بالحشرات، وفي فترات الرّاحة، يتلقّى الصّفعات ويُجلد مثلما تُجلد الثّيران النّابية ؟))³.

¹ - صالح إبراهيم: أزمة الحضارة العربية في أدب عبد الرحمن منيف، ص 135.

² - المرجع نفسه، ن.ص.

³ - عبد الرحمن منيف: شرق المتوسط، ص 151.

الفصل الثاني مستويات التشكيل الفني في رواية " شرق المتوسط "

إن وقع السجن على نفسيّة " رجب " تجسّد في قوله: ((ظللت صامتا، كنت أحسّ نفسي عاريا و الآغا يُطفئ سجائر على جسدي ...أحسست أنّه يطفئ واحدة تحت ابطي واحدة بين إليتي واحدة في ذقني))¹

أمّا عن رأي " عبد الرحمن منيف " فقد جاء على لسان "رجب" بأنّ السجن آخر شيء يجب أن يقع لأيّ واحد فاحذروا كثيرا، واعملوا أيّ شيء من أجل ألاّ تقعوا في أيدي البوليس ...وإذا وقع الإنسان فيجب أن يثبت أنّه رجل ويعرف كيف يتحمّل، فرجب لا يريد أن يتذكّر تلك الأيام و التي تجعل من الإنسان مشوها وكذا سجيننا حتّى ولو كان حرا.

ب - الحبس الانفرادي: هو سجن من نوع خاص، ونوع من العقوبات التي يتعرّض لها أيّ سجين، ومن المواقف التي قصّها "رجب"، والتي تعرضوا من خلالها جميعا للحبس الانفرادي قصّة "عصمت" مع أحد الحراس، يقول: ((عصمت يعني كلّ الكلمات التي يقولها، طلب مرّة من الحارس أن ينادي أمر الحرس فرفض الحارس، طلب منه مرّة ثانية، ورفض، و فجأة رأينا عصمت يضع رجله في بطن الحارس و يرفسه بقوة سقط الحارس وأغمي عليه، ودفعنا كلّنا ثمن الضربة حسبنا انفراديا لمدة واحد وعشرون يوما))².

ج-السرّادب-القبو: وهو مكان قصدا "منيف" ذكره، فتعمّق في وصف حالة "رجب" عندما نزل إليه، يقول:

((أتذكّر أنّي رأيت الباب يفتح، ثمّ رأيت بقعة الدّم وقد غطّت مساحة واسعة من أرض القبو، كان القبو صغيرا لدرجة أنّ ثلاث أشخاص لا يمكن أن يناموا فيه ...ما إن أفقت من الصدمة الأولى، حتّى بدأت أصرخ (...). أنا مريض، ولن أبقى في القبو! - مريض ...سوف تُشفى الآن .

أوقعني خرطوم الماء المندفع من أعلى ...

¹ - عبد الرحمن منيف : شرق المتوسط، ص09.

² - المصدر نفسه ، ص20.

الفصل الثاني مستويات التشكيل الفني في رواية " شرق المتوسط "

- هذه المرّة ماء، إذا سمعت صوتك مرّة أخرى أغرقتك في .¹

إنّ ما حدث لـ"رجب" من أنواع التعذيب جعل منه سجيناً حتّى وهو حرّ، يقول: ((السجن يا أنيسة" في داخل الإنسان، أتمنى ألا أحمل سجنى أينما ذهبت إنّ مجرد تصوّر هذا العذاب يدفع بالإنسان إلى الانتحار !)).²

د- البيت - الدار: يعتبر البيت ((هو عالم الإنسان الأول قبل أن يُقذف بالإنسان في العالم))³، يقول "غالب هلسا": ((لو طلب إليّ أنّ أذكر القائدة الرئيسة للبيت))⁴ لقلت: ((البيت يحمي أحلام الحالم، ويُنّيح للإنسان أن يحلم بهدوء، ثمّ يُضيف: الآن يتّضح هدفي: يجب أن أبين أنّ البيت هو واحد من أهمّ العوامل التي تدمج أفكار وذكريات وأحلام الإنسانيّة (...)) والبيت مكان مغلق، يحتفظ بذكريات العالم الخارجى لن يكون لها قط نسق ذكريات البيت، وحين نستدعي هذه الذكريات فإنّنا نُضيف إلى مخزون ذكرياتنا من الأحلام، أنّنا لسنا مؤرخين حقيقيين بل نحن أقرب إلى الشعراء))⁵.

وبهذا فالبيت هو ركننا في العالم إنّه كما قيل مرارا، كوننا الأول، كون حقيقي بكل ما للكلمة من معنى رواية "شرق المتوسط" لم تخل من حنين البيت وألفة العائلة والدّفء الأصلي الذي تتسجه الأم بعطفها فأول مكان أخذ منه "رجب" للسجن هو البيت، والمكان الذي عاد إليه من السجن هو البيت.

هـ- الغرفة: صحيح أنّ الغرفة جزء من البيت، ولكن كانت لها خصوصية هي الأخرى في الرواية، فقد لعبت دورا مهما، لأنّها اعتُبرت مهريا يلجأ إليه "رجب إسماعيل"

¹ - عبد الرحمن منيف : شرق المتوسط، ص75.

² - المصدر نفسه، ص74.

³ - غاستون باشلار: جماليات المكان، تر: غالب هلسا، ط2، المؤسسة الجامعية للنشر و التوزيع، بيروت - لبنان- ، 1984م، ص38.

⁴ - المرجع نفسه، ص37.

⁵ - المرجع نفسه، ص38.

الفصل الثاني مستويات التشكيل الفني في رواية " شرق المتوسط "

من "أنيسة"، و"أمه"، و"كلّ الناس خاصّة الجيران منهم، حين لا يريد أن يكلم أحدا، يذكر أنّ "أنيسة" جهزت له غرفته بعد عودته من السجن، فجرى الحوار التالي: ((تطلّعت أنيسة إليّ بلهفة وهي تتذكّر اتّسعت ضحكتها، لما أصبحنا على باب الدهليز قالت:

- غرفتك نظيفة وجاهزة !

- لا أريد أحدا .. لا أقارب .. لا جيران .. أتركيني أنام !!¹

أمّا "أنيسة" فتذكر الغرفة في كل مرّة، تقول: ((اقتربت من باب الغرفة ووضعت أذني. كان السكون الآخر يغرق الدار. ظننته نائما وأنه نسي الضوء فلم يُطفئه... ولم أجد سوى الضوء حُجة))².

وفي موقف آخر، تقول: ((قالت عمتي بعد أن ابتعدنا كثيرا عن الغرفة، وجلسنا في طرف الحديقة))³، كما لم تخل الرواية من أنواع أخرى للغرفة: كغرفة الاستجاب والتعذيب، غرفة المستشفى، غرفة الفندق .

2-2- الأماكن المفتوحة:

أ- البحر: كان وسيلة تتقلّ للرجب "سمحت له بالانفتاح على العالم الخارجي وليس المقصود بالعالم الخارجي الذي يعيش فيه، بل العالم الذي يقع وراء البحار فكان البحر مكانا استرجع فيه "رجب" كلّ الذكريات القاسية، يقول: ((من أجل الكلمة سافرت، ركبت البحر في الشتاء الحزين، لعلّي من مكان بعيد أستطيع أن أقول الكلمات التي حلمت بها طوال خمس سنين))⁴.

¹-عبد الرحمن منيف : شرق المتوسط، ص12.

²-المصدر نفسه، ص37.

³- المصدر نفسه، ن.ص.

⁴-المصدر نفسه، ص143.

الفصل الثاني مستويات التشكيل الفني في رواية " شرق المتوسط "

ب- المقبرة:

تعتبر المقبرة مكانا مفتوحا مؤقتا، فهي مكان للعبرة والاتعاض، إنها النهاية الحتمية التي ينتهي عندها المرء، بعد رحلة حياتية طويلة مليئة بالمسرات والأحزان¹ ولقد كان للمقبرة دور في الرواية بعد وفاة أم البطل "رجب"، تقول "أنيسة": ((بعد أن غادر رجب السجن، ذهبنا معا إلى المقبرة))²، أما "رجب" فيقول: ((غدا سأنام عند القبر، سأقول لها أن جسدي هو الذي خانني يا أمي))³، وهكذا تظل المقبرة رمز الموت والاندثار والتلاشي والفناء، تسرق بسمة الحياة من الشفاه وتثير الفزع والخوف في النفوس، تقول "أنيسة": ((بعد أن وقفنا لحظات فوق القبر، ورأى دموعي، قال بعصبية:

- ارجعي الآن يا أنيسة.

ولما رأني واقفة لا أتحرك، ورأى دموعي، قال لي مرة أخرى .

- ارجعي إلى البيت، وأنا سأبقى هنا بعض الوقت، سأزور قبر أمي وقبر خالي))⁴.

ج- الشوارع: ما يميز هذا الفضاء المفتوح أنه يمثل الحُزن الذي يتلقف الذات المنعزلة، والمنثورة والضعيفة، والتائهة، والحائزة على الرّغم مما يُحيطها من أسباب الأُنس (مثقلا بالشر)، وفي رواية "شرق المتوسط" استخدم الشارع مكانا لإغواء "رجب" للإسراع في الخروج من السجن من طرف "أنيسة" و "الأغا".

¹ - نصيرة زوزو: بناء المكان المفتوح في رواية " طوق الياسمين " لوسيني الأعرج، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، مجلة المخبر، العدد الثامن، جامعة محمد خيضر، بسكرة - الجزائر - ، 2012، ص30.

² - عبد الرحمن منيف: شرق المتوسط، ص42.

³ - المصدر نفسه، ص32.

⁴ - المصدر نفسه، ص42.

الفصل الثاني مستويات التشكيل الفني في رواية " شرق المتوسط "

| الصفحة | النموذج |
|--------|--|
| 34 | ((كل شيء تغير، الشوارع غير الشوارع، البيوت غير البيوت الحقائق الأضواء أشياء كثيرة تغيرت)). |
| 15 | ((أما الآن فالذي يوقع يخرج من مكتبي رأساً إلى الشارع وأنا سأوصل ثيابه إلى البيت)). |
| 118 | ((أشاروا عليه بمرارة وسخرية أن يرتكز إلى عمود النور في زاوية الشارع)). |

د- الزقاق: لقد تعمّد عبد الرحمن منيف أن يبتعد على مُسمّيات الأماكن كالشوارع والأزقة وغيرها، بل ذكرها بصفة عامّة، تقول "أنسية": ((لَمَّا أخذوا "رجب" ولولت أمي وركضت وراءهم، تجمّع النَّاس في الزّقاق... ثمّ تدخّل النَّاس في الزّقاق، وقالوا لها كلمات أقرب إلى الخُشونة))¹.

((كنت أوم أمي كثيراً، وأنا أراها كالتحفة تحوم في البيت والأزقة طول النهار))².

إن رواية "شرق المتوسط" رواية مليئة بالأماكن وهذا دليل على حركيّة وتنقّل شخصيّات الرواية وتطوّر الأحداث في كل مرّة، مثال: البّاحرة (السّفينة)، القرية، الحديقة، المقهى، المستشفى، المطاعم، المتاحف، المرحاض، الفنّك، المكتّب، الصّالة.

كما أنّ "منيف" ذكر أسماء بعض البلدان في رواية " شرق المتوسط" مثال:

فرنسا، مرسيليا، ميلانو، جنيف، إيطاليا، اليونان، بيروت، بريطانيا، فنزويلا، الأورغواي.

• أمّا الطّبيعة باعتبارها مكاناً فلم تخل الرواية من مظاهر الطّبيعة (حيوانات، أشجار، الجوّ)، فحين يُؤنس الفنّان الأمكنة والحيوانات والطّيور والأشياء وظواهر الطّبيعة في عمله الفنّي، نتعرف بشكل جديد قسم بالعمق والرّوعة إلى تجلّيات العالم الخارجيّ الذي يصبح أكثر حيوية وحياء وإنسانيّة، ونلتمس في الوقت نفسه رؤية الفنّان الفكرية للحياة والمدى الإنساني الذي يتسم به، ونعي الدوافع التي دفعته إلى التعبير عن رؤيته بهذا الأسلوب أو دور الحس الجمالي في تشكيل رؤيته .

¹ - عبد الرحمن منيف : شرق المتوسط، ص48.

² - المصدر نفسه ، ص50.

الفصل الثاني مستويات التشكيل الفني في رواية " شرق المتوسط "

منح "عبد الرحمن منيف" المكان على مستوى (النص والخطاب) ملامح خاصة جسده شخصيته اعتبارية وجعلته يتصدر واجهة السرد، لكونه تجلّي بؤرة تشع منها المادة الروائية على أنساق النص الروائي وعمل على ربطه بالإنسان ربطاً رحيماً، فأنسن مكونات المكان من حيوانات وطيور ونبات وأشياء و ظواهر طبيعية، وجعلها تحسّ بالإنسان تعويضاً عن غياب أخيه الإنسان¹.

وبهذه الأنسنة كشف "منيف" عن نظرتة الجمالية إلى العالم الخارجي وإلى الحياة كما يجب أن تكون .

• **الحيوانات:** أكثر الحيوانات ذكراً كانت الطيور والقطط، وفي ما يلي نماذج لذلك:

- **الطيور/العصافير:** أبرزهم عصافير "رمزي" وطيور "نوري" التي كانت شاهدة على تعرّض "رجب" و آخرون إلى التعذيب والضرب، يقول: ((كانت الطيور تُغرد إذا دخلنا كانت تنتقل من طرف القفص إلى الطرف الآخر، وتتنظر إلينا بسخرية، تلتقط الحبّ وتقفز، كانت هكذا، حتّى ونحن نُضرب، التفتت مرّة وأنا مُلقى على الأرض ويديا معصوبتان تحت ظهري (...)) كنت أتمزّق من الألم، كنت أريد أن أبكي رأيتها ماتزال تقفز، هل كانت تقفز من الخوف، من الفرح؟))².

ويتذكّرها هي الأخرى عند سفره في الباخرة " أشيلوس " عندما يرى كناريات السويدية التي شبّهها بطيور " نوري".

- **القَطط /الهرة:** لم تكن الحيوان الأليف الذي نحبه، فقد رسم لهم "عبد الرحمن منيف" صورة أخرى استخدمها الجلّادون لتعذيب الإنسان في السجن، فلم يحبذ "رجب" لا القَطط ولا الكلاب يقول: ((احذري يا أشيلوس إن عدت يوماً للشاطئ الشرقي (...)) لقد جنّت المخلوقات هناك (...)) القَطط مجنونة لا تقترب من البشر، لا تهرهر مثل قَطط المناطق الأخرى.. لقد جنّت

¹ - مرشد أحمد: أنسنة المكان في روايات عبد الرحمن منيف، ط1، دار الوفاء، الإسكندرية - مصر- ، 2003، ص09.

² -عبد الرحمن منيف : شرق المتوسط، ص97.

الفصل الثاني مستويات التشكيل الفني في رواية " شرق المتوسط "

القَطط تماما، والبشر المجانين يلاحقون القَطط يقبضون عليها، يدخلونها في الأكياس مع البشر، يضربونها ويضربون البشر))¹، يضيف:

((ليست القَطط وحدها المجنونة يا أشيلوس: الكلاب والعصافير جنّت أيضا))².

كما ذُكرت أنواع أخرى من الحيوانات: البقرة، الديك، الحوت، الخيول، الثور و الذئب، الجرّاد، النحلة، الجمل، الكلب، الطاوس، الخنازير، الصراصير، التماسيح و الكناري، الجرذان، الحشرات، حصان، السمك و الدجاج .

- النملة:

و هي التي نزلت ضيفة على "رجب" وأنيسة له في سجنه، يقول:

((كنت في القبو أحارب الجنون، أمسكت مزة نملة سوداء كبيرة، قدمت لها رغيفي كله، و ضعت أمامها قذح الماء، وقلت لها بصوت حاسم مليء بالرغبة.

- لن أتركك الآن ستبقين هنا ثلاثة أيام، أنت ضيفي، بعد ثلاثة أيام يمكن أن نتحدّث.

لما رأيتها تبتعد عن رغيف الخبز، حملتها من جديد ووضعتها فوقه، بدأت تنزلق، تريد أن تبتعد.

- صرخت:

- ألا تعرفين العادة أيتها النملة المقدسة، يا ضيف الله؟ الضيافة ثلاثة أيام.

قولي عني ما تشائين...قولي نوري أو عبد، قولي جلد وكافر، قولي، فأنا لا أسمع إلا ما أريد .

¹-عبد الرحمن منيف : شرق المتوسط، ص97.

²-المصدر نفسه، ن.ص.

الفصل الثاني مستويات التشكيل الفني في رواية " شرق المتوسط "

لم أحتمل أن أحبس النملة عندما أصبحت قريبة من الشق قلت لها وأنا أراها تتسلق الحافة:
- يجب أن لا تبقى وحيدة... لو ظلت هنا لكنت صديقك، احذري أن تقتربي ناحية الجنوب، هناك لا يعرفون معنى الصداقة، وليس لهم أصدقاء... إذا ضقت من قبوي، فاذهبي هذه الناحية، ناحية الشمال.. هناك تجدين الأصدقاء!!¹.

• الأشجار:

إنّ الملاحظ في رواية "شرق المتوسط" أنّها وظّفت أنواعا من الأشجار، مثل: شجرة الحور، شجرة المانوليا، شجرة الجوز.

لقد وظّفت الأشجار في روايات "عبد الرحمن منيف" على أنّها جزء ضروري من الطبيعة، ومثال ذلك في رواية " شرق المتوسط " شجرة " الحور " التي كانت ترمز إلى الأنفة وذلك لطولها وزرعت من طرف الأم عندما سجن "رجب" وكأنّها تقول بذلك "رجب" سيصمد لن يسقط، تتحدث "أنيسة" على لسان أمّها:

((أمي زرعت لك هذه الشجرة، زرعتها بعد شهرين من سجنك .

- قال بتساؤل لذيذ:

- شجرة حور !

- نعم شجرة حور، وقالت عندما يخرج "رجب" من السجن سيكون كبيرا شامخا مثلها...².

إنّ هذه الشجرة أصبحت عدوا بالنسبة "لرجب" ، يقول: ((هذا النوع من الأشجار، النوع الضامر، الطويل، يولد في نفسي حزنا، ومن أيام بعيدة وأنا أكره الحور والسرو إنّها أشجار كئيبة))³.

فاعتبرت رمز للماضي الحزين الذي يجب أن ينتهي بالنسبة "لرجب".

¹ - عبد الرحمن منيف : شرق المتوسط، ص98.

² - المصدر نفسه ، ص57.

³ - المصدر نفسه ، ص58.

الفصل الثاني مستويات التشكيل الفني في رواية " شرق المتوسط "

• الظواهر الطبيعية:

لم تسنح الفرصة لـ"رجب" برؤية العالم الخارجي للسجن، لكن استطاع إدراج وصف عام للطبيعة من خلال:

تعاقب الليل والنهار: فالليل شهد هو الآخر على عذاب "رجب" داخل السجن، فهو لم ينم ليالي لشدة التعذيب من جهة، والأرق من جهة أمّا النهار في السجن فكان شاهدا على الجوع، الصراعات اليومية بين السجناء، لحظات الاعتراف والتعذيب، وقد وردت لفظة الليل والنهار من بداية الرواية، حتى نهايتها والليلة التي كانت أشد وقعا في حياة "رجب" الليلة التي سمع فيها بموت أمه و الليلة التي سبقت خروجه من السجن، أمّا الليلة التي كانت لها أثرا كبيرا على "أنيسة" هي الليلة التي سبقت سفر "رجب".

الفصول (الشتاء-الصيف): وقد وردت في مواقف كثيرة، دالة على التشاؤم ولحظات الضعف في شخصية البطل ومن تقاسم معه الأدوار، فجاء شتاء الرواية باردا وماطرا، يقول "رجب": ((الليل في بداية الشتاء طويل.. طويل. الساعة في ليالي الشتاء طويلة لدرجة أنها تتجاوز عشرات الساعات الصيفية وإلا لماذا كانت الظلمة كثيفة في الخارج))¹.

يقول أيضا: ((ثلاثون سنة، ثلاثون صيفا وخريفا... ثلاثون ربيعا... أمّا الشتاء فقد جاء الآن))².

هذا وقد وردت عبارات دالة على الظواهر الطبيعية: غبار، غيوم، برودة، حرارة...

إنّ هدف "عبد الرحمن منيف" من الرواية كما جاء على لسان "رجب" هو الكتابة عن موضوع يخص الإنسان لكن يعبر عن اللاإنسانية هو "التعذيب"³.

¹ عبد الرحمن منيف : شرق المتوسط، ص21.

² المصدر نفسه، ص07.

³ المصدر نفسه، ص135.

الفصل الثاني مستويات التشكيل الفني في رواية " شرق المتوسط "

فكانت مظاهر الطبيعة المستخدمة في الرواية دالة على الحزن والكآبة، والضجر وحتى السخرية... أما الأماكن فدلت على الانغلاق أكثر من الانفتاح وهذا إن دل فإنما يدل على محاولة الروائي "عبد الرحمن منيف" (تصوير واقع الإنسان العربي المتميز بحالة مستمرة مع النكوص المرير الذي ينوء تحت سطوته القاسية في ظل انتفاء المبادئ والقيم والمثل الإنسانية، وانعدام أسس الحياة الكريمة المشروعة، لتعبر الرواية عن محاولة الإنسان التعبير عن تطلعاته وأحلامه وسعيه الدؤوب للخلاص من قسوة المعاناة التي يكابدها على مختلف مستويات الحياة)¹.

ثانيا - المستوى السردى اللغوي في رواية " شرق المتوسط ":

1- المستوى السردى وأنماطه:

يُعرف السرد على أنه طريقة الراوي في تقديم الحكاية، من خلال هذا التعريف يتضح لنا طبيعة السارد (الراوي) بغض النظر عن السردية وعن المسرود له (المتلقي - المروي له)، فيميز النقاد بين ثلاثة أنماط منه تبعا لموقع السارد - الراوي :-

1-1- النمط الأول: يتميز بهيمنة -موقع الراوي- البطل الذي يحكم منطلق " البنية " .

1-2- النمط الثاني: يتميز ببلورة موقعين متصارعين لروائيين بطلين

1-3- النمط الثالث: فتغيب عنه بنية الموقع الواحد وبنية الموقعين، يزول معه مفهوم

البطل، ويتراجع الراوي إلى موقعه شاهدا حياديا فحسب².

ومما سبق يمكن أن نضع اليد على النمط الذي ورد في رواية "شرق المتوسط"

أي النمط السائد هو النمط الثاني: حيث يتناوب على السرد في رواية "شرق المتوسط"

صوتان يبدأ بصوت "رجب إسماعيل" بالفصل (1) (3) (5) ثم صوت "أنيسة"

في الفصل (2) (4) (6):

¹ - مرشد أحمد: أنسنة المكان في روايات عبد الرحمن منيف، ص 09.

² - صالح إبراهيم: الفضاء ولغة السرد، ص 124.

| أنيسة | رجب |
|-------|-----|
| 2 | 1 |
| 4 | 3 |
| 6 | 5 |

يروى لنا "رجب" تفاصيل عن مسيرة حياته بين البيت الذي عاش فيه أصدقاؤه في السياسة، السجن وعذابه، صحته، وكذا علاقته وبالعالم الخارجي ككلّ وذلك بالتناوب مع "أنيسة" التي تروي، هي الأخرى حكاية عذاب من نوع آخر وإن لم تسجن، لكن تجربتها في الحياة تقترب مما عاشه "رجب"، لأنها عايشته معه جلّ المواقف عدا فترة سفره وعلاجه، فكانت رسائله لسان حال "رجب" هناك .

وبهذا فالملاحظ على أسلوب "عبد الرحمن منيف" أنّه تجاوز أسلوب السرد التقريري المعروف لأنّه استخدم الأساليب الحديثة، منها أسلوب التناوب السردى هذا، إذ قسمت مهمة السرد بين شخصيتين تتناوبان الحديث من بداية الرواية حتى نهايتها، دون إغفال أساليب أخرى للسرد كأسلوب الاسترجاع، أسلوب الاستباق، أنواع الحذف

لقد كان لهذا النوع من الأنماط المستخدمة من طرف "عبد الرحمن منيف" هدف يتمثل في محاولة إيصال عذابات الأفراد وتأثيرات الهزائم عليهم، فيشارك المتلقي بذلك الشخصيات ألم الأوضاع في ظلّ أزمات الحرية و الديمقراطية .

2- المستوى اللغوي: كان للغة "منيف" في رواية "شرق المتوسط" أثرا كبيرا، فهي تحاول أن تخدم موضوعه الروائي، فجاءت معبّرة عن الاضطهاد، القهر، القلق، التوتر، التعذيب والمعاناة، فكانت سبيلا للشخصيات الروائية المستخدمة للكشف عن نفسياتها والدليل تلك اللغة المشحونة بعصبية التي تعكس الجو الذي تعيشه وتجسده الشخصية:

قالت بعصبية جامحة، و كأنّ الجرح الذي أصابها لم يترك لها فرصة لكي تفكر بهدوء:

- مائة جهنّم وأكون مجنونة إذا سألت عنك !.

الفصل الثاني مستويات التشكيل الفني في رواية " شرق المتوسط "

- مائة جهنم وأنا لا أريد من أحد أن يسأل عني (!)¹، وفي حوار آخر ردّت بعصبية: ((أنت لست أما لا تعرفين شعور الأمّهات، إذا سجن فلن تركضي في الشوارع، ولن تسهري الليل، ماذا أستطيع أن أفعل ؟))².

كما جاءت عبارات أخرى دالة على الغضب، الحزن، القلق ...، تقول أنيسة: ((رغم القلق الذي لا يتركني لحظة واحدة، والذي يدفعني لأن أفكر برجب مثلما كانت أُمي تفعل))³.

كما يمكن التمييز بين ثلاث أنواع لتوظيف اللغة:

2-1- اللغة الفصحى: سيطرت اللغة الفصحى على رواية "شرق المتوسط" ولكنها ليست سيطرة كلية تماما كما يوضحه رأي "صالح إبراهيم" في كتابه "الفضاء ولغة السرد في روايات" عبد الرحمن منيف" بقوله: ((شملت السيطرة الكلية سبع روايات هي ... "شرق المتوسط")، إلا أنه تم استخدام العامية في بعض المواضع وبعض الشئام العامية التي تشد انتباه القارئ والتي جاءت كاملة أو محذوفة أو نصف كاملة. لقد كانت جل الشخصيات وأبرزها بطل الرواية "رجب" تتحدث أو تنطق بالفصحى، ولكن كما يذكر "صالح إبراهيم" أن ذلك ممكنا بالنسبة "لرجب" بصفته شابا مثقفا وخريج جامعة، وله تجربة سياسية ولكن أن تتحدث أخته "أنيسة" والمحققون في السجن وأقارب "رجب" جميعا باللغة الفصحى، وبنفس مستوى "رجب" يعدّ أمرا غريبا باعتبارهم مواطنين عاديين⁴، ومثال ذلك قول "أنيسة": ((بدأ يقرأ دون توقّف وكلمات أمي، وهي تلح عليه أن يقوم ليأكل، أو يتوقف عن القراءة ... ولم يكن يستجيب إلا إذا خانه السهر أو انتهى الكتاب))⁵، وفي هذا دليل على حُب المطالعة والكتابة عند "رجب".

¹ -عبد الرحمن منيف : شرق المتوسط، ص65.

² -المصدر نفسه، ص64.

³ -المصدر نفسه ، ص132.

⁴ - (ينظر) صالح إبراهيم: الفضاء ولغة السرد، ص147.

⁵ -المصدر السابق ، 124.

الفصل الثاني مستويات التشكيل الفني في رواية " شرق المتوسط "

و هذا ما يُحيلنا إلى أمر آخر وهو أنّ "الراوي"العالم بكل شيء كان "عبد الرحمن منيف"أمّا تناوب الشّخصيّتين في سرد الأحداث فكان ظاهرياً لأنّ اللّغة واحدة ويتّضح أنّها لغة"عبد الرحمن منيف"السارد الأول وممّا زاد من غرابة الأمر لغة الأمّ الفصيحة، و هي التي لا تعرف القراءة، تقول"أنيسة"أنّ أمّها وجدت أوراقا تحت الفراش، فجرى بينهما الحوار التالي:

((أنيسة وجدتُ هذه الأوراق تحت الفراش ... ما هذه الأوراق؟¹

- أوراق رجب يا أمّي !

- ولكن ما فيها ؟

- دروسه وأشعاره يا أمّي .

- وهذه الصّورة ؟ وهذا ...أيّ شيء هذا !

- أشعار يا أمّي))².

لقد عيب على"منيف"في عمله هذا عدم استخدام لهجة ما للشّخصيّات الثّانويّة التي دون مستوى"رجب"واعتبر ذلك خوفا ! فلو خصّص لهجة أو لهجات معيّنة، ستحسب روايته نقداً مباشراً لوضع سلطة سيّاسيّة ما معروفة في الوطن العربيّ، ويبقى هدف"منيف"أنّه أراد توسيع المدى الجغرافي للحدّث، و"شرق المتوسط"ليست دولة أو منطقة محددة بذاتها بل مجموعة من الدّول))³.

وممّا سبق يستنتج أنّ اللّغة الفُصحى في"شرق المتوسط"وُظفت لغرض سيّاسي بحت فكانت صفة شموليّة طاغيّة على كلّ عناصر الرواية، فالرواية لازمن لها يحدّد أحداثها، ولا مكان معين جرت فيه أحداثها، واللّغة هي الأخرى عملت على تحنّب ذكرها للجانب المكاني والجغرافي فلم تدلّ على لهجة أو لغة أيّ منطقة بذاتها.

²-عبد الرحمن منيف : شرق المتوسط، ص125.

²- المصدر نفسه، ص126.

³- صالح إبراهيم: الفضاء ولغة السرد، ص148.

2-2- اللهجة العامية:

إن كانت اللهجة هي الاستعمال الخارجي للغة في بيئة معينة، هذا الخاص الذي يبدو أنه يكثر باتساع الرقعة الجغرافية التي تسود فيها إحدى اللغات، فإن اللغة العربية هي واحدة من اللغات التي تكثر لهجاتها وتختلف، ليس على مستوى اللهجات الأم التي ترتبط ببعض الأقطار فحسب بل على مستوى التباينات اللهجية داخل القطر الواحد¹.

وعلى الرغم من التباين الملحوظ في استخدام العامية في الرواية العربية بين قطر وآخر، وبين روائي وآخر، وبين مراحل مختلفة في تجربة روائي واحد أحياناً، لم يمنع من تقديم تصور عام، توجزه الافتراضات الثلاثة التالية:²

أ- **تبسيط الفصحى في اللحظات الحوارية وما يشابهها:** باتجاه تقريبها من اللهجات العامية الدالة بأنواعها ما أمكن، دون المساس بالأبنية اللغوية الفصيحة³، ويظهر ذلك من خلال قول "أنيسة" وهي تحاول أن تستشف سبب ألم وحزن "رجب" تقول: ((الدنيا لا تستأهل أن تعذب نفسك بهذا الشكل))⁴.

ب- **تفصيح العامية:** وفي هذا الافتراض تبقى مساحة حرة قليلة، متروكة للمواقع والتفصيلات العامية الضرورية للدلالات السردية، أو لمصادقية النص (الأمثال العامية، الأغاني، الأهازيج، الكلمات والعبارات ذات الثقل الدلالي الخاص بالنص نفسه...).

ج- **اعتماد العامية في الحوار:** هذا الافتراض يتيح انفتاح القارئ على التعدد اللهجي العربي، ويساهم في توسيع أفقه اللغوي واللهجي، ذلك أن العامية مهما بلغت المساحة

¹ - جهاد عطا نعيمة: في مشكلات السرد الروائي - قراءة خلافية في عدد من النصوص والتجارب الروائية العربية والعربية السورية المعاصرة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق - سوريا - ، 2001، ص49.

² - المرجع نفسه، ص50.

³ - عبد الرحمن منيف: شرق المتوسط، ص39.

⁴ - المصدر نفسه، ن.ص.

الفصل الثاني مستويات التشكيل الفني في رواية " شرق المتوسط "

المحدودة لتداولها، هي لهجة حيّز مكاني إنساني عربي، لا يمكن إدارة الظّهر لها وكأنّها غير موجودة إطلاقاً¹.

ومثال ذلك في الرّواية:

((- اسمع يا أحول .. والله لأرجعك (*)...أمك، و لك مر علي مثلك، وأكبر منك، وكلهم ركعوا.. أترك يباسة الرّأس ووقع! ..

- وأنت يا عود النّعناع، يا حبيب أمّه، ألا تريد أن توقّع ؟ وغير لهجته: أمك فاتحة مناخة، (...)) وتقول: صغير، لا يفهم شيئاً، ورّطه أولاد الحرام، نعم ورطوه، أتركوه بجاه النبيّ الله يطول عمركم أتركوه !))².

وقول "أنيسة" حين تصف حالة سماع أمّها بخبر إيجاد "رجب": ((أنيسة يا أنيسة رجب عايش رجب حي))³، وفي مواقف أخرى:

| الصفحة | النموذج |
|--------|--|
| 16 | ((حرام عليك يا بطل غيرك أرجل منك ووقع...)). |
| 27 | ((رجب الله يستر عليك)). |

يشير الرّوائي السّعودي الأصل "عبد الرّحمن منيف" إلى التّأثير السّلبّي للغة النّقليديّة في الرّواية العربيّة الدّي يتجلّى في تكرار مفردات بعينها ذات جرس خاص بشكل خاص يوحى بتأثيرها الشّفوي كما يلاحظ أنّ استخدامها يتمّ بفعل الاستمرار والتّكرار أكثر ممّا يتمّ بفعل الحاجة، ويحتمل أن يكون للأمر صلة بالثقافة (الشّخصية) الشّفويّة السّائدة، إلّا أنّه لم يشر إلى تراجع مثل هذا النّمط من اللّغة في السرد الرّوائي العربيّ المعاصر⁴.

¹ - جهاد عطا نعيصة: في مشكلات السرد الروائي، 49.

(*) شتيمة نائية

² - عبد الرحمن منيف: شرق المتوسط، ص15.

³ - المصدر نفسه، ص49

⁴ - المرجع السابق، ص37.

الفصل الثاني مستويات التشكيل الفني في رواية " شرق المتوسط "

إنّ هذا لم يمنع "منيف" من استخدام عبارات من اللهجة العامية قد تقودنا إلى البلد المقصود في الرواية مثل: بك، الآغا، ولك، الفلوس ...)). وهي في الأغلب لها صلة بسوريا أو لبنان .

2-3 - اللغة الشعرية:

تراجع نمط اللغة التقليدية في السرد الروائي العربي بشكل ملحوظ، منذ أواخر الستينيات، وربما منذ حزيران 1967م، بفعل الضّغط النفسي الذي عاشه بعد خيبة وطنية كبيرة، و ما تلاها من هزائم وانتصارات، وخاصة شرائح المثقفين والعاملين في حقل الإبداع الفني بأنواعه، والخصوصيات الانفعالية التي يتصفون بها هذه الخيبة وضعت المبدعين العرب في حالة مراجعة ذاتية¹.

ولعلّ هذا ما أدّى دوراً رئيسياً في دفع اللغة التقليدية، في عمومية قوالبها إلى مواقع متراجعة، وتقدّم اللغة الانفعالية ذات الشّحنات الشعريّة التي تلامس الذات المنفصلة، والمتوتّرة، أو المتحفّزة على نحو أكثر خصوصيّة، هذا التعاطي الانفعالي مع السرد الروائي، قد أنتج لغة شعريّة تفاوتت بشكل ملحوظ في الأداء².

قدّم لنا "عبد الرحمن منيف" رأيه الخاص في الشعر والكتابة الشعرية، يقول على لسان "رجب": ((يبدو لي أن الشعر لا يمكن أن يكتبه إلاّ إنسان واحد، لأنّه سيل من الأحاسيس الداخليّة، في لحظات هاربة، فإذا لم يستطع الإنسان السيطرة على هذه اللحظات، توارت وانتهت ...)).³

كما توجد استعارات وتشبيهات زادت من مستوى اللغة الروائية في رواية "شرق المتوسط"، مثال: الأغنية تتموج مثل السّياط في دمي، قال لي ببرودة كاوية، اللّيلة الأخيرة كالولادة الميتة، ضحك عصمت كالطفّل، النّدم شبك ذراعيه حولي، وبهذا فقد كان

¹ - جهاد عطا نعيصة: في مشكلات السرد الروائي، ص42.

² - المرجع نفسه، ن.ص.

³ - عبد الرحمن منيف : شرق المتوسط، ص134.

الفصل الثاني مستويات التشكيل الفني في رواية " شرق المتوسط "

للغة دورا مهما في التأثير على باقي العناصر التي تتشكل منها الرواية، فكانت للغة المستخدمة أبعادا تسعى الرواية لتحقيقها وهي البعد السياسي والاجتماعي وكذا النفسي لأن اللغة حرصت على الظهور بمظهر التقرير الحقيقي عن التجارب الفعلية، التي تعيشها الشخصية، وفي هذا إشارة على قدرة اللغة على التحليل النفسي، فوظف "عبد الرحمن منيف" اللغة الشعرية في روايته توظيفا فنيا وليس توظيفا مجانيا زائدا عن الحاجة، فكان للغة الشعرية وظيفة واضحة في رسم الشخصيات والتعبير عن خلجاتها .

إن للغة القدرة على إيصال معرفة الأشياء..، فنتيجة لحراك الواقع المستمر على المستويات كافة، فرض حراك أشكال التعبير الروائي عنه ¹.

لتبقى اللغة الروائية المحور الهام في الرواية العربية، والتي تخضع لقدر واضح من الالتباس، عبر علاقة تبدو على درجة كبيرة من التأثير الإشكالي لكل من اللغة الفصحى (الرسمية)، واللغة العامية، اللغة الشعرية ².

ثالثا - مستوى البنية الشخصية في رواية "شرق المتوسط"

1- مستوى البنية الشخصية: تعرف الشخصية على أنها مفهوم تخيلي تدل عليه التعبيرات المستخدمة في الرواية، وهكذا تتجسد الشخصية الروائية - حسب بارت - (كائنات من ورق)، لتتخذ شكلا دالا من اللغة وهي ليست أكثر من قضية لسانية حسب تودوروف ³.

وبالرغم من أن الشخصية الروائية بعيدة كل البعد عن الواقع، إلا أن لها أدوارا وأبعادا وعلى أساسها يمكن تقسيمها إلى:

¹ جهاد عطا نعيصة: في مشكلات السرد الروائي، ص 23.

² المرجع نفسه، ص 34.

³ محمد عزام: شعرية الخطاب السردى - دراسة -، د.ط، منشورات إتحاد الكتاب العرب، 2005، ص 11.

الفصل الثاني مستويات التشكيل الفني في رواية " شرق المتوسط "

1-1- من حيث الدور:

- أ- الشخصية الأساسية /المحورية: وهي تلك الشخصية التي تحرك بها ومنها الكاتب، ليبنى غايته من العمل الأدبي، روائيا أو حواريا.
- ب- الشخصية الثانوية: يوظفها الكاتب في مرحلة من مراحل التطور الروائي، ويتخلى عنها بعد أداء دورها لتظهر شخصية أخرى¹. وفيما يلي توضيح لذلك من خلال الشخصيات الواردة في رواية " شرق المتوسط ":

| الشخصيات | نوع الشخصية |
|--|------------------|
| شخصية "رجب"، ثم "الأم" و"أنيسة". | الشخصية المحورية |
| في المحيط العائلي: حامد زوج أنيسة، هدى حبيبة "رجب"، أسعد أخو "رجب"، عمته حسيبة، ابن خالته منعم، أولاد أنيسة: عادل، خالد، رامز، ليلي . | الشخصية الثانوية |
| أصدقاء "رجب" في التنظيم: عصمت - أمجد - إبراهيم - سامي - عزيز - وليد - باسل - خالد - محسن - أنور - عبد الكريم - نجيب - جابر - سعد الدين - هادي - أمجد رضوان - سعيد. | |
| في السجن: السجان "توري"، رمزي، خليل، طيبب السجن، مدير الشرطة . | |

كما توجد شخصيات أخرى، ظهرت في حياة "رجب" لفترة واختفت مثل: عبد الغفور، أمين بائع الجرائد، الدكتور فالي، حسني عبد الجليل صديق حامد .

إنّ في رواية "شرق المتوسط" أكثر من بطل مع أنّ البطل الرئيس هو "رجب إسماعيل"، الذي يظلّ محور الرواية حين تسرد عن ذاتها وحين تسرد "أنيسة" عنها، غير أنّ شخصيات أخرى كان لها حضورا فاعلا بعد "رجب" هي شخصيات

¹ - حسن شوندي، آ زاده كريم: رؤية إلى العناصر الروائية، فصلية دراسات الأدب المعاصر، العدد العاشر، السنة الثالثة، د.ت، ص53.

الفصل الثاني مستويات التشكيل الفني في رواية " شرق المتوسط "

الأم، وشخصية "أنيسة" فبالنسبة "لأنيسة" تسرد لنا فصولا ثلاث كما يسرد "رجب" ثلاث فصول، أما "الأم" فلا تغيب أبدا، تظل حاضرة كبطلة هي الأخرى رغم موتها، فأصبحتا شخصيتين رئيسيتين بعد "رجب".

أما الشخصيات التي لا تُعتبر رئيسية ولا ثانوية وذكرت أم جعفر، عم رجب الحاج مصطفى الغزاوي، أبو سعدي، الحاج رسمي، أبو جعفر، وأشخاص التقاهم "رجب" في السفينة "أشيلوس": الفتاة السويدية، وآخرون من بلدان مختلفة .

1-2- من حيث تكوين الشخصيات:

أ- الشخصية النامية (المتطورة): وهي الشخصية التي تبدو للقارئ في الصفحات بل تتكشف شيئا فشيئا وتتطور بتطور الرواية وأحداثها، وتنمو مع تغير الأحداث، ويكون تطورها غالبا نتيجة تفاعلها المستمر مع هذه الحوادث - لأنها في حالة صراع مع الذات - وقد يكون هذا التفاعل ظاهرا أو خفيا وقد ينتهي بالغلبة أو الإخفاق .

ب- الشخصية المسطحة (الثابتة): وهي أن تقوم فيها الشخصية عادة حول فكرة واحدة، وتظهر في كل مواقف الرواية بصورة واحدة أيضا لا تتغير في سلوكها وانفعالاتها ولا تؤثر فيها الحوادث، ولا تكاد طبيعتها تتغير¹.

وفي رواية "شرق المتوسط" نجد أن الشخصيات النامية: هي شخصية "رجب"، "الأم"، "أنيسة"، حامد، "هدى"، وبعض السجناء أبرزهم "هادي"، وعن أكثر الشخصيات تطورا في الرواية نجد بطلها "رجب": حيث يبدأ طفلا ليصبح شابا جامعا ثم مناضلا، يسجن فيصمد أولا ثم يضعف لدواعي صحية "روماتيزم"، ليوقع على ورقة الخروج شرط عدم ممارسة السياسة مجددا، لتتقلب حياته، فالأم الشجاعة التي كانت سندا له ماتت، أما أخته "أنيسة" فقد دفعت به إلى السقوط لأنها أرادت أن تدفع الأمور

¹- وادي طه: دراسات في نقد الرواية، ص27.

الفصل الثاني مستويات التشكيل الفني في رواية " شرق المتوسط "

إلى نهايتها، وهكذا كانت رحلة "رجب" من البيت إلى السجن إلى فرنسا، ثم من فرنسا إلى البيت إلى السجن، أمّا نهايته الحتمية فكانت الموت¹.

أمّا الشخصيات الثابتة في الرواية فهي شخصية "أسعد" أخو "رجب"، والسجان الذي بقي يحمل صفة الجلاد، كما يستطيع الكاتب أن يخلق شخصية حيّة فيحرص على عرضها واضحة في الأبعاد.

1-3- من حيث الأبعاد:

أ- **البعد الجسمي:** ويتمثل في صفات الجسم من طول وقصر، وبدانة، و نحافة، ذكر أو أنثى، عيونها وسنّها...والى ذلك من خصائص خلقية مميزة².

ومثال ذلك في رواية "شرق المتوسط" وصف "رجب" لـ "نوري" ((كان نوري قصيرا واسع العينين، شفّته السفلى ثقيلة مرتخة، أمّا الأذنان فقد اكتسبتا حمرة معربة .. كان إذا خلع سترته وبان كرشه بدأ أقصر، أمّا إذا رفع أكمام القميص، حتّى الساعد، فإنّ الشعر الأسود الغزير يتدفّق كشلال على يديه))³.

ب- **البعد الاجتماعي:** ويمثل انتماء الشخصية إلى طبقة اجتماعية ما، وفي نوع العمل الذي تقوم به وثقافتها ونشاطها...⁴.

لقد كان الطابع السياسي وتوتر الأوضاع هو ما اتّسمت به الشخصيات وتعدّ شخصية "رجب" و شخصية " الأم" ممّن تأدّوا بالواقع الاجتماعي المرير، وهو الذي وجد نفسه سجيناً محكوماً عليه بإحدى عشرة عاماً، ففضى منها خمس سنين وهي السنين التي عاش على ذكراها حتّى اللحظة التي مات فيها، وفي حديثه عن الواقع في الشرق ومقارنته بواقع الغرب تتضح الرؤية حول الواقع الاجتماعي أكثر، يقول: ((هناك الأحزاب لها مراكز مكتوبة

¹ - (ينظر) عادل الأسطة: (مقال) قراءة نقدية في رواية "شرق المتوسط"، ص02.

<http://www.najah.edu- file- essays- arabia- adel 20%- usta- 20% ESSAYS- 120 .doc>

² - حسن شوندي، آزاده كريم: رؤية إلى العناصر الروائية، ص52.

³ - عبد الرحمن منيف: شرق المتوسط، ص97.

⁴ - المرجع السابق، ن ص.

الفصل الثاني مستويات التشكيل الفني في رواية " شرق المتوسط "

عليها الأسماء بوضوح، يدخلها النَّاس دون خوف، يدخلون دون أن ينظروا وراءهم، ويتكلمون في الشارع، وبصوت عال .. آه يا أهل باريس، لو جئتم بكتبكم إلى شاطئ المتوسط الشرقي، لقضيتم حياتكم كلها في السجون))¹.

ويحاول "رجب" في "شرق المتوسط" وصف الوضع، فيقول: ((والفرح بالنسبة للشعب السجين طائر مهاجر حتى الجلادون لا أظن أنهم قادرون على الفرّح)).²

هذا وقد أُعتبر الحزن ظاهرة اجتماعية تعني العرب جميعا حقيقة ؟ فإذا اقترن بالحرمان العاطفي والنفسي أصبح أعمق وأكثر أثرا، وهناك موقف ذو بعد اجتماعي لشخصية "الأم" بعدما سجن ابنها آزرته وحثته على الصمود كي لا تهزم إرادته³.

لقد أرادت شخصيات الرواية إعطاء الرواية بعدا اجتماعيا يحاكي الأوضاع المأساوية التي عاشتها المناطق العربية بعد نكسة حزيران، فقد السجن من نتائج الوضع الاجتماعي، هذا الأخير الذي سلب الحرية والديمقراطية اللذان يعدان أكثر أهمية من الأكل والشرب أحيانا.

ج- البعد النفسي: ويكون في الاستعداد والسلوك من رغبات وآمال وعزيمة وفكر ومزاج الشخصية من انفعال وهذوء وانطواء أو انبساط وبهذا يكون للشخصية دور في نقل ما يحدث للقارئ⁴.

وهو جانب مهم في الرواية، فغياب النفس يؤدي إلى موت العاطفة، وموت العاطفة يؤدي إلى الكتابة الميتة، والجانب النفسي الذي كانت تعيشه شخصيات رواية "شرق المتوسط" بدءا من "رجب"، ثم أمه التي لم تتقبل ما حدث لابنها، أمّا "أنيسة" فقد عاشت الأمرين بعد وفاة الأمّ وسجن "رجب" ثم سفره وتعرض حامد للمضايقات⁵، أحداث الرواية تتابع

¹ - عبد الرحمن منيف: شرق المتوسط، ص155.

² - المصدر نفسه، ص 154

³ - صالح إبراهيم: أزمة الحضارة العربية في أدب عبد الرحمن منيف، ص60.

⁴ - حسن شوندي، آزاده كريم: رؤية إلى العناصر الروائية، ص52.

⁵ - إبراهيم السعافين: تحولات السرد -دراسات في الرواية العربية-، ص13.

الفصل الثاني مستويات التشكيل الفني في رواية " شرق المتوسط "

منذ اللحظة التي وقّع فيها "رجب" على الورقة التي اعتبرها شهادة وفاته، وموت "رجب" الإنسان، أمّا الذي يعيش الحياة حالياً فهو خائن لهذا جاءت الأحداث على شكل بكائية ندم وتبرير، وحوارات داخلية انقسمت بين اللوم، والتبرير، الحسرة، والشعور بالفراغ العدمية، والشعور بالتفاهة المتناهية¹.

لقد قدّم لنا "عبد الرحمن منيف" رواية إنسانية، بل جعلها مرآة لكل الشعوب، فجاءت "شرق المتوسط" صرخة في جو الصمت، فعبرت بشخصياتها على نفسية الإنسان المسجون الذي يخضع لأنواع التعذيب، يقول "رجب": ((أول غيوم تمر فوق السجن، كانت صغيرة تشبه الغبار، ومع مرور الدقائق تتمزق وتتلاشى، وكان في داخلي شيء يتمزق، لماذا انفجر في داخلي ذلك العواء الأجرى؟ لماذا؟ لماذا؟))².

وفي موقف آخر يعبر عن نفسيته المحطمة بعد سماعه بالمرض الذي أصابه ولكي يُشفى منه عليه إتباع وصفة الطبيب التي لا يعتبر أنه الشخص المناسب لها، يقول: ((هذه القائمة لحيوان مدلل لعصفور من عصافير رمزي، أمّا القائمة التي تتفق مع مزاجي فتختلف كثيرا... وسوف أطبقها بدقة))³.

كما ساهمت "هدى" في معاناة "رجب" بعد سماعه بزواجها، يقول: ((تحملت... انطويت على نفسي وبدأت أحارب هدى التي علقت في دمي ولا أعرف كيف ظللت مضطراً لسؤال أنيسة عنها))⁴، لقد أثرت الرسائل والذكريات على نفسية "رجب" و"أنيسة" عندما كان يتلقى كل واحد منهم رسائل لآخر، كما أنّ لرسائل الحب التي كان يتلقاها من "هدى" الأثر العظيم في حياته، يقول: ((بلهفة المجنون كنت أنتظر حتى إذا وصلت الرسالة إلى يدي لا أمل من قراءتها إلى أن تأتي رسالة أخرى...))⁵.

¹ - شرق المتوسط - رواية - 08 - 01 - 17

[http -www.islameiat.com- images- articles- sh arg. 20%almtwast](http://www.islameiat.com-images-articles-sh arg. 20%almtwast)

² - عبد الرحمن منيف : شرق المتوسط، ص07.

³ - المصدر نفسه ، ص09.

⁴ - المصدر نفسه، ص25.

⁵ - المصدر نفسه، ص23.

الفصل الثاني مستويات التشكيل الفني في رواية " شرق المتوسط "

لقد عبّر "رجب" عن الأوضاع التي عاشها والسجناء، خاصة حملات التفتيش التي كان يقوم بها الحراس، يقول: ((كانت روحي تحترق مع الرسائل .))¹ وليعبّر "منيف" على نفسيّة التّشاؤم التي تعيشها الشّخصيات استخدم الألوان: خاصة اللون الأسود في مواضع كثيرة: الدّفتر الأسود، جارنا الأسود، طرحة سوداء، شريط أسود، نملة سوداء، والأفكار السوداء.

ولعلّ "منيف" أفاد إفادة واضحة من النظريات النفسيّة الحديثة في تحليل شخصيات روايته وربما بدت التلقائية في التحليل النفسي للشخصيات أظهر، فحاول المؤلف أن يحلّل الشخصيات و مواقفها النفسيّة ويتعرف إلى سيكولوجية المعتقل، فبرع في تصوير شعور السّجين.

2- الوصف:

يُعرف الوصف بأنّه أسلوب إنشائي يتناول ذكر الأشياء في مظهرها الحسي²، وهو يُستخدم لغاية جماليّة فيقوم الوصف في هذه الحالة بعمل تزييني، وهو بذلك يشكّل استراحة في وسط الأحداث السردية، فيكون وصفا خالصا لا ضرورة له بالنسبة لدلالة الحكيم، وأخرى تفسيرية أو توضيحية أي أن يكون للوصف وظيفة رمزية دالة تحاكي معنى معين في إطار سياق الحكيم³. والوصف في روايات "منيف" يؤدي فعلا معنى، ويسعى إلى التعبير عن موقف ومعاناة⁴ ومن مظاهر تجلّي ذلك في رواية "شرق المتوسط" نجد الوصف الذي تعرّضت له بعض الشّخصيات والأمكنة، والذي من خلاله سنستشف بعض الدلالات .

2-1- وصف الشخصيات:

يصف لنا "منيف" بعض شخصياته وصفا تحليليا مباشرا ليس لرسم "صورها" في ذهن المتلقّي فحسب، بل لأجل هدف ما، ومثال ذلك وصف "رجب" للمناضل "هادي"، يقول: ((يجب

¹- إبراهيم السعافين: تحولات السرد-دراسات في الرواية العربية، ص343.

²- أحمد قاسم سيزا: بناء الرواية - دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ-، د ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة - مصر، -، 1984، ص80 .

³- حميد حميداني: بنية النص السردية من منظور النقد الأدبي، ص79.

⁴- صالح إبراهيم: الفضاء ولغة السرد، ص131.

الفصل الثاني مستويات التشكيل الفني في رواية " شرق المتوسط "

أن يعرف الناس وجه أقرب إلى وجوه الأطفال، عينان صغيرتان ذكيتان، و ابتسامة لا تموت، كانت ابتسامة هادي مثل الضوء، تغيب لحظة، لكنها لا تنطفئ، آه لو كتب أحد عن هادي لكن من يكتب يجب ألا يكون رجب، سوف يقول للناس، أن هادي جديلة من الصمود غزلتها الأيام الصعبة والشقاء، ورمتها وسط الناس كتلة ملتهبة (...). بدأت أكتب لكن الخوف الذي بلغ بي حد القزع، دفعني لأن أحرق الأوراق (...). صرخت وأنا أحرق ما كتبت تخاف أن تقضح نفسك يا رجب))¹.

لقد مثل "هادي" القدوة في النضال والصمود في رواية " شرق المتوسط " وهو الذي لم يعترف على الرغم من أنواع التعذيب التي تعرض لها، هذا ما أراد قوله "رجب" للناس، لكن موقفه لم يظهر جليا لأن حرية الكلمة المنطوقة أو المكتوبة معدوم .

2-2 - وصف الأمكنة:

إذا كان السرد يُشكل أداة الحركة الزمنية في الحكى، فإن الوصف هو أداة تشكّل صورة المكان، ولذلك يكون للرواية - آية رواية - بعدان: أحدهما أفقي يشير إلى السيرورة الزمنية، والآخر عمودي يشير إلى المجال المكاني الذي تجري فيه الأحداث، وعن طريق التحام السرد والوصف ينشأ فضاء الرواية².

إن استخدام وصف الأمكنة لا يكون اعتباطيا، فقد يلجأ إليه الروائي حين يريد تأخير الأحداث، للدلالة على تعارض أنماط الحياة واختلافها³، وهو ما تم استخدامه في رواية "شرق المتوسط" حيث وصف لنا "منيف" البلاد الغربية على لسان "رجب" : ((مرسيليا مثل الدنيا لكنها تستعد لاحتفالات رأس السنة، الناس يتراکضون المحلات تمتلئ بالبشر و الأضواء، والتلج يتساقط ليدفن كل شيء، الماضي والأحزان والأفكار البائسة، وأنا وحدي في

¹ - عبد الرحمن منيف : شرق المتوسط، ص143.

² - حميد حميداني: بنية النص السردى من منظور النقد الأدبي، ص80.

³ - (ينظر) المرجع نفسه، ص70.

الفصل الثاني مستويات التشكيل الفني في رواية " شرق المتوسط "

مرسيليا الكبيرة لا بذرة انسجام مع كل ما حولي، خطوات النَّاس الكبيرة هرب من الوباء الذي أمثله بخطواتي الصَّغيرة البَطِيئة))¹.

لقد استُخدم هذا الوصف للدلالة على الوضع المتأزم الذي آلت إليه بلدان "شرق المتوسط" في حين بلدان غرب المتوسط تعيش وضعاً أحسن وهو ما جسده "منيف" على لسان "رجب" حين حاول الهروب و تطهير نفسه، وكذا تحقيق ذاته هناك، على الرغم من صعوبة ذلك لأنه اعتبر نفسه دخيلاً .

وبهذا فالوصف هو تصوير لحالات ووضعيّات تتعلّق بالشخصيّات وبالأمكنة التي وقعت بها الحركات، وتمّت بها الأفعال².

¹ - عبد الرحمن منيف : شرق المتوسط، ص150.

² - إبراهيم صحراوي:تحليل الخطاب الأدبي ، ص101.

خاتمة

الخاتمة

بعد رحلة بحث قضيتها رفقة هذا البحث، ستكون الخاتمة آخر ما أختتم به هذه الدراسة، لذلك سأحاول أن أرصد فيها أهم النتائج التي توصلت إليها والمُلخصة فيما يأتي:

- 1- تنامي عنصر الزمن داخل رواية "شرق المتوسط" لـ"عبد الرحمن منيف" وانسجامه في بنية هذا العمل.
- 2- عبّر الكاتب عن المكان من حيث الامتداد المرموز لجغرافيا الرواية من ساحل المتوسط إلى قلب الصحراء البعيدة، وقد تجنّب "منيف" التّحديد لخدمة هدف بعيد في الرواية لتنسجم مع إنسانية موضوعها ومقدمتها الهادفة.
- 3- جاءت لغة "عبد الرحمن منيف" في رواية "شرق المتوسط" حادّة ومتوتّرة، فهي تعبّر عن جوّ القهر والاضطّهاد وما تعانیه الشّخصيّة، فخدمت الموضوع بشكل كبير.
- 4- استخدام "منيف" أساليب سردية حديثة في الرواية، فتجاوز بذلك أسلوب السرد التّقريبي، منها أسلوب التناوب السردّي، الاسترجاع، المونولوج .
- 5- تميّزت شخصيّات "منيف" في رواية "شرق المتوسط" بكونها مثقّفة، ورافضة للأوضاع التي تحيط بها وهذه الشّخصيّات هي انعكاس لشخصيّة الرّوائي المثقّف والسياسي "عبد الرحمن منيف" فكان جريئاً في عرض موضوع الرواية، وفي طرح رؤيته العامّة للأوضاع السياسيّة والاجتماعيّة في "شرق المتوسط" فعبر عن موضوع "التّعذيب" بجرأة قلّما نراها في الرواية العربيّة مع ملاحظة حساسية الموضوع وخطورته .

إنّ رواية "شرق المتوسط" لم تكن جديدة على المستوى الفنّي والمضمون والأسلوب، إذا ما أخذت تلك المستويات منفردة، ولكنها جديدة حقاً إذا ما نظرنا إلى جميع هذه المستويات باعتبارها وحدة متكاملة، ونتاج متميّز لأحد أكثر الرّوائيين العرب التزاماً والتصاقاً بقضايا وطنه وأمتّه.

وفي الأخير أحمّد الله أن يسّر لي إتمام هذا البحث، وأن ينفع به من قرأه، وإنّه وليّ ذلك والقادر عليه وصلى الله على نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

أولاً : المصادر :

1. منيف عبد الرحمن: شرق المتوسط، ط09، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت - لبنان -، 1993.

ثانياً : المراجع :

أ- المراجع العربية:

2. إبراهيم صالح: أزمة الحضارة العربية في أدب عبد الرحمن منيف، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت - لبنان -، 2004.

3. // : الفضاء ولغة السرد في روايات عبد الرحمن منيف، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت - لبنان -، 2003.

4. بحراوي حسن: بنية الشكل الروائي، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت - لبنان -، 1990 .

5. حبيبة الشريف: بنية الخطاب الروائي - دراسة في روايات نجيب الكيلاني-، ط1، عالم الكتب الحديث، أربد-الأردن-، 2010.

6. الزغبى أحمد: مقالات في الأدب والنقد، ط1، مكتبة الكتابي، أربد - الأردن-، 1993.

7. السعافين إبراهيم: تحولات السرد-دراسات في الرواية العربية-، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان - الأردن -، 1996.
8. سعيد حجازي سمير: النقد العربي وأوهام الحداثة، ط1، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، 2005.
9. سيزا أحمد قاسم : بناء الرواية - دراسة مقارنة لثلاثية - نجيب محفوظ، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة - مصر -، 1984.
10. صحراوي إبراهيم : تحليل الخطاب الأدبي - دراسة تطبيقية لرواية جهاد المحبين لرجي زيدان نموذجاً - ، ط1، دار الأفق ، الجزائر، 1999.
11. عاشور عمر: البنية السردية عند الطيب صالح البنية الزمنية والمكانية في موسم الهجرة إلى الشمال ، د.ط، دار هومه، - الجزائر -، 2010.
12. عبيد محمد صابر والبياتي سوسن : جماليات التشكيل الروائي ، دراسة في الملحمة الروية (مدارات الشروق) لنبيل سليمان، ط1، عالم الكتب الحديث، أربد - الأردن -، 2012.
13. عزام محمد: شعرية الخطاب السردية - دراسة -، د.ط، منشورات، إتحاد الكتاب العرب، 2005.
14. فريحات عادل : مرايا الرواية دراسة تطبيقية في الفن الروائي، د.ط، منشورات إتحاد الكتاب العرب، مكتبة الأسد الوطنية، دمشق - سوريا -، 2006.

- 15.** البصراوي مها حسن : الزمن في الرواية العربية، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت - لبنان -، 2004.
- 16.** الكردي عبد الرحيم : السرد في الرواية العربية، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة- مصر -، 2006.
- 17.** لحميداني حميد : بنية النص السردى من منظور النقد الأدبي، ط1، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان -، 1991.
- 18.** مرشد أحمد : أنسنة المكان في روايات عبد الرحمن منيف، ط1، دار الوفاء، الإسكندرية - مصر -، 2003.
- 19.** النابلسي شاهر : جماليات المكان في الرواية العربية، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت - لبنان - ، 1974.
- 20.** نعيسة جهاد عطا : في مشكلات السرد الروائي - قراءة خلافية في عدد النصوص التجارب الروائية العربية والعربية السورية المعاصرة، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق - سوريا -، 2001.
- 21.** وادي طه : دراسات في نقد الرواية، ط3، دار المعارف، القاهرة - مصر-1992.
- 22.** يوسف آمنة: تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، ط1، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، 1997.

ب/ الكتب المترجمة:

23. باشلار غاستون : جدلية الزمن، تر خليل أحمد خليل، ط3، المؤسسة

الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان -، 1992.

24. باشلار غاستون:جماليات المكان، ترجمة غالب هالسا، ط2، المؤسسة

الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت - لبنان -، 1984.

ثالثا - المعاجم :

25. إبراهيم فتحي : معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية

للناشرين المتحددين، الجمهورية التونسية، 1988.

26. ابن منظور: لسان العرب، طبعة دار صادر، مكتبة الحرم الشريف،

بيروت - لبنان -، د.ت .

رابعا : المجلات والدوريات :

27. بعيطيش يحي : خصائص الفعل السردي في الرواية العربية الجديدة،

مجلة كلية الآداب واللغات، العدد الثامن، جامعة منتوري، قسنطينة -

الجزائر-، جانفي 2011 .

28. ربابعة بسام علي : هواجس واعترافات - دراسة تحليلية لرواية

شرق المتوسط، مجلة إتحاد الجامعات العربية للآداب، العدد الأول، المجلد

الخامس، 2008.

29. زوزو نصيرة : بناء المكان المفتوح في رواية طوق الياسمين لوسيني الأعرج، مجلة المخبر، العدد الثامن، جامعة محمد خيضر، بسكرة - الجزائر- ، 2012.

30. شوندى حسن، آزاده كريم : رؤية في العناصر الروائية فصيلة دراسات الأدب، العدد العاشر، السنة الثالثة، د.ت.

31. عزاب عبد الرحيم : بنية اللغة في رواية صوت الكهف - قراءة في آليات الخطاب السردي عند عبد المالك مرتاض-، دورية أكاديمية محكمة تصدر من المدرسة العليا للأساتذة - العدد الرابع، قسنطينة -الجزائر- ،أفريل 2008.

32. مرتاض عبد المالك : ((الرواية جنسا أدبيا))، مجلة الأعلام، وزارة الثقافة والإعلام، ع11، بغداد - العراق -، 1986.

33. مرتاض عبد المالك : في نظرية الرواية، مجلة عالم المعرفة (العدد 240)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1998.

34. نجاح حبيب : تعيين الشخصية ذاتها في رواية شرق المتوسط لعبد الرحمن منيف، مجلة فكر المعاصر، العدد 23، بيروت - لبنان -، 1983/1982.

خامسا/ الرسائل الجامعية :

35. دريدي، محمد رشدي : النص الموازي في أعمال عبد الرحمن منيف الأدبية، نقدية تحليلية، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية - فلسطين -2010.

36. سي كبير أحمد التيجاني : شعرية الخطاب السردي في رواية المستنقع للمحسن بن هنية رسالة ماجستير، معهد اللغة والأدب العربي، إشراف عبد الرحمن تبرماسين، جامعة محمد خيضر، بسكرة - الجزائر -، 2011/2010.

37. لعريط مسعودة:الفضاء في الرواية النسائية المغاربية، دراسة موضوعاتية،رسالة دكتوراه، إشراف الأستاذ طاهر حجار، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر، 2008 / 2009 .

سادسا - المواقع الإلكترونية :

38. عبد الرحمن منيف

<http://www.alarabiya.net/articles2007/06/0635225.html>

39. الأسطة عادل : قراءة نقدية في رواية " شرق المتوسط "

<http://www.najah.edu/file/essays/arabic/adel/20%usta>

[20%essays/120doc.](http://www.najah.edu/file/essays/arabic/adel/20%usta)

40. شرق المتوسط - رواية -17-01-08

<http://www.w.islameiat.com/images/ariticles/>

[sharg20%almtwast .](http://www.w.islameiat.com/images/ariticles/)

41. عبيد، محمد صابر : "التشكيل مصطلحا أدبيا"، أرشيف أدباء وشعراء ومطبوعات، (موقع الكتروني) 2012/12/28.

فهرس الموضوعات

| فهرس المحتويات | |
|---|---------------------------------------|
| | كلمة شكر |
| أ- ج | مقدمة |
| مدخل | |
| 05 | 1. التعريف بالروائي "عبد الرحمن منيف" |
| 09 | 2. التعريف برواية "شرق المتوسط" |
| 09 | 3. ملخص الرواية |
| الفصل الأول: مفهوم التشكيل الفني في " شرق المتوسط " | |
| | أولا : مفهوم التشكيل الفني |
| 16 | 1. مفهوم الرواية |
| 16 | أ/ لغة |
| 16 | ب/ اصطلاحا |
| 18 | 2. مفهوم مصطلح التشكيل |
| 18 | أ/ لغة |
| 18 | ب/ اصطلاحا |
| | ثانيا : عناصر التشكيل الفني |
| 22 | 1- مفهوم عناصر التشكيل الفني |
| | 1-1- الزمان |
| 22 | أ- لغة |
| 23 | ب- اصطلاحا |
| | 1-2- المكان |
| 23 | أ- لغة |
| 23 | ب- اصطلاحا |
| | 1-3- اللغة |
| 25 | أ- لغة |
| 25 | ب- اصطلاحا |
| | 1-4- الشخصية |
| 26 | أ- لغة |
| 27 | ب- اصطلاحا |
| | 1-5- السرد |
| 27 | أ- لغة |
| 28 | ب- اصطلاحا |
| | 1-6- الوصف |
| 29 | أ- لغة |
| 30 | ب- اصطلاحا |

| | |
|----|--|
| | الفصل الثاني : مستويات التشكيل الفني في رواية "شرق المتوسط" |
| | أولا : المستوى الزمكاني في رواية " شرق المتوسط" |
| 34 | 1. المستوى الزماني |
| 34 | 1-1- المفارقة الزمنية ومستوياتها |
| 35 | 1-1-1- الاسترجاع |
| 38 | 1-1-2- الاستباق |
| 40 | 1-2- الحركة السرديّة وتقنياتها |
| 40 | 1-2-1- تسريع السرد |
| 40 | أ/ الخلاصة |
| 40 | ب/ الحذف |
| 42 | 1-2-2- إبطاء السرد |
| 42 | أ/ المشهد |
| 42 | ب/ المونولوج |
| 43 | ج/ الوقفة الوصفية |
| 45 | 2. المستوى المكاني |
| 45 | 1-2- الأماكن المغلقة |
| 48 | 1-2- الأماكن المفتوحة |
| | ثانيا : المستوى السردّي و اللغوي في رواية " شرق المتوسط " |
| 55 | 1. المستوى السردّي وأنماطه |
| 55 | 1-1- النمط الأول: سيطرة الراوي الواحد (موقع واحد) |
| 55 | 1-2- النمط الثاني : موقعين متصارعين لراويين بطلين |
| 55 | 1-3- النمط الثالث: سيطرة الحكاية (بنية اللاموقع) |
| 56 | 2.المستوى اللغوي |
| 57 | 1-2- اللغة الفصحى |
| 59 | 2-2- اللهجة العامية |
| 62 | 2-3-اللغة الشعرية |
| | ثالثا : مستوى البنية الشخصية في رواية " شرق المتوسط " |
| 62 | 1. مستوى البنية الشخصية |
| 63 | 1-1- من حيث الدور |
| 63 | أ- الشخصيات الأساسية (المحورية) |
| 63 | ب- الشخصيات الثانوية |
| 64 | 1-2- من حيث التكوين |
| 64 | أ- الشخصية النامية (المتطورة) |
| 64 | ب- الشخصية المسطحة (الثابتة) |

| | |
|----|-------------------------|
| 65 | 1-3- من حيث الأبعاد |
| 65 | أ- البعد الجسمي |
| 65 | ب- البعد الاجتماعي |
| 66 | ج- البعد النفسي |
| 68 | 2. الوصف |
| 69 | 2-1- وصف الشخصيات |
| 69 | 2-2- وصف الأمكنة |
| 72 | الخاتمة |
| 74 | قائمة المصادر و المراجع |
| | فهرس الموضوعات |
| | ملخص البحث |

ملخص

إن دراسة موضوع عناصر التشكيل الفني في رواية "شرق المتوسط" للروائي "عبد الرحمن منيف"، يهدف إلى الكشف عن كيفية اشتغال المكونات الجمالية في هذا النوع من الروايات. فالبحث عن هذه المكونات الزمكانية والشخصيات واللغة و الحدث التي ميزت رواية "شرق المتوسط" يؤكد أن العملية الإبداعية في الكتابة الروائية تتطلب قدرة على توظيف المكتسبات والمهارات الذاتية في التعبير عن الواقع أو المتخيل، وهو ما يجعل هذه الرواية بصمة خاصة من بصمات المبدع، في تفردا وتميزها وبقائها في تجدد دائم بفضل هذه الخصوصية.

Résume :

L'étude des élément de la structure technique dans le roman : "**L'est de la Méditerrané**" de "**Abed rahmen mounif**" a pour objectif de dévoiler le mécanisme des composantes techniques dans ce genre de romans.

La recherche de ces éléments spacio-temporels, les personnage et la longue que caractérisent le roman "**L'est de la Méditerrané**" prouve que la créativité dans l'écriture romans que exige la capacité d'utiliser les compétences et les connaissances personnelles dans l'expression de la réalité et de l'imaginaire ce qui fait de ce roman une marque propre du créature ce qui l' à rend exceptionnelle et unique mais en constant renouvellement.